

روائع الأدب العربي
(الأشغال الأدبية)

أحسان عبدالقدوس حائرين الحلال والحرام



منتديات المكتبة العربية
www.tipsclub.net
Amly



الهيئة المصرية العامة للكتاب

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤

الطريق سهل نحو السماء

احسان عبدالقدوس

«الأسم الصريح لبطله هذه
القصة كان مكتوباً في الطبعة
الأولى من مجموعة «بانع الحب»...
والقصة نفسها كانت قد نشرت
بموافقة صاحبها... وقد رفعت اسم
البطله من هذه الطبعة!»

اسمها الذى اختارته لنفسها ، ، ، ، ،

واسمها المسجل فى شهادة الميلاد ، ، ، ، ،

واسمها الذى تنادى به ، ، ، ، ،

واسمها الذى تمنحه للأصدقاء ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ،

ودعنا من اسم العائلة، فهو اسم كبير عرف خلال الثورة
المصرية عام ١٩١٩، حيث أضاع الرجال - رجال العائلة -
ثروتهم فى تأييد حركة الوفد.

وإن كان لا يزال أحد أعمامها حتى اليوم ثرياً بعض الثراء،
وعم آخر صحفياً وفير الكسب، وأحد أبناء عمومته وكيلاً
بإحدى الوزارات.. فهى نفسها نزلت من الفرع الذى فقد الثروة
، لم يستطع أن يحتفظ منها بشئ، ولا أن يعوضها بشئ!

إنها ضحية من ضحايا الثورة - هكذا تحب أن تعتقد - وقد نشأت وهي تسمع عن ثراء جدها، وعن العز الذي كان يمرح فيه أبوها وأعمامها، وعن العزب والأطيان وعربات الدوكار، وقد ضاع كل ذلك في سبيل الوطن، ولم يبق منه ولا من الوطن شيء .. فما ذنبها هي؟ .. ما ذنبها أن تحرم من ذلك في حين أنه لا يزال بين بنات الوطن من تمرح في العز والفرار؟ وكيف تتخلص من هذا الفقر وتعيد مجد الجدود والآباء؟!

وأدخلوها مدرسة يهودية رخيصة، لتتعلم .. وخرجت تجيد الفرنسية!

وتحفظ عن ظهر قلب أشعار مسرحية مجنون ليلي، بحوطةا فريق من الصديقات كلهن من بنات إسرائيل ..

ولم تستفد شيئا من اللغة الفرنسية، ولا من أشعار مجنون ليلي، ولكنها أفادت الكثير من الصديقات الإسرائيليات. علموها فن الحياة.

وعلموها كيف يكون لها رأسان. الثاني منهما في مكان القلب!

وعلموها أن مستقبل المرأة في ابتسامة ونظرة عين؟! تعلمت كل ذلك، ثم تلفتت تبحث عن المجد والثراء .. هل تحاول أن تعثر على زوج غنى؟؟.

لقد حاولت ذلك منذ كانت في الرابعة عشرة من عمرها تلعب «الإسكيتنج» في ملعب كان مكانه شارع عبدالعزیز، وفي

ملعب آخر أصبح مكانه الآن سينما ريفولى .. ولكنها كانت محاولة فاشلة، وكان أصلها الطيب يمنعها دائما من الاندفاع في مغامرات ليست مضمونة للتائج.

إذن لم لا تحاول أن تصبح نجمة سينمائية؟. إنه طريق سهل إلى الثراء، ولا تحتاج فيه لأكثر من الجمال، وهي جميلة، وهكذا أكد لها الناس!

ولكن .. هل هي فنانة؟. هل تستطيع أن تمثل؟

هل كانت كاميليا فنانة؟ وهل كانت هاجر حمدي فنانة؟ وهل كانت مديحة يسرى فنانة؟ .. إلخ!.

إن الفن هو آخر مؤهلات السينما في مصر، ويكفى الجمال، والجمال فقط!

وصممت على أن تكون نجمة سينمائية، وقد عارضتها العائلة .. عارضتها بشدة .. ولكنها كانت ثائرة، وكانت عنيدة، وكانت قوية. فخضعت العائلة.

وبدأت الطريق، ولكنها بدأنه بداية خاطئة، فقد كان كل هما أن تقلد الممثلات اللاتي سبقنها إلى الشاشة، فغيرت اسمها، ولغمطت وجهها بالمساحيق، وبدأت تتكلم من أنفها، كما تفعل تحية كاريوكا، وتضم شفيتها كما تفعل هاجر حمدي. وتتعلم أن تضحك ضحكات مفتعلة ثقيلة، وكانت وهي فتاة في السابعة عشرة تضع في قدميها حذاء ذا كعب يزيد ارتفاعه عن عشرة سنتيمترات، بترنح من فوقه جسدها في شكل ملفت يثير الشفقة ..

وبذلك فقدت شخصيتها، وأصبحت لا هي امرأة ولا هي فتاة، ولا هي بنت ذوات، ولا هي بنت شوارع، كما يظن من لا يعرفها.

فقدت شخصيتها التي كان يمكن أن تؤهلها للفن. شخصيتها الفتاة النضرة المحصنة البريئة. شخصية الفتاة ذات الجمال المتميز النادر الذي يتصنع بعطر الشرق، ويجمع في خطوطه أساطير الهند، وقطرة جزر هاواي، ومخونة مصر..

* * *

فقدت كل ذلك، وأصبحت لا شيء أو شيئا مائلا لا طعم له. ولكن ومتى كان المنتجون والمخرجون يهتمون بالشخصية المتميزة؟

ومتى كما الجمال البريء الساذج يستطيع أن يجد مكانا في دنياهم؟ إنهم يريدون امرأة أقرب إلى راقصة صاللة منها إلى بنت ناس، هكذا تعودوا أن ينتقوا بطلات أفلامهم!

وبدأت تحيط نفسها بغيلق من الأصدقاء كل منهم له مهمة تستطيع أن ترتفع فوقها.. وكانت قد تعلمت من الفتيات الإسرائيليات كيف تمد لكل منهم خيوط الأمل. وألا تعلم من نفسها إلا الآمال!

وكان يجب أن تضم إلى هؤلاء الأصدقاء من يستطيع أن يدفعها دفعة قوية إلى الأمام، وقد وجدت اثنين:

أولهما: سيدة كان لها ماض في السينما المصرية، ولا تزال تحاول أن يكون لها مستقبل.

وثانيهما: منتج سينمائي في الخمسين من عمره، ذهب إلى في بيته. وكان يسكن أيامها في حي السكاكيني. وقدمت إليه نقشا عن طريق بعض الصديقات الإسرائيليات أيضا!!

أما السيدة فقد وجدت فيها زهرة نضرة تستطيع أن تعلقها في صدرها حتى لا ينفذ من حولها بقية المعجبين، ووجدت هي في هذه السيدة سلمة، تستطيع أن تتعرف عن طريقها إلى الوسط الفني الراقي، وتستطيع أن تستعير منها هذا القراء، أو هذا الثوب، أو هذا المشبك الماسي!!

أما المنتج السينمائي، فقد رأى فيها جمالا، ورأى فيها شبابا، ورأى فيها وجها جديدا يستطيع أن يستغله دون أن يكلفه غالبا.. ورضيت هي أن ينتج لها فيلما لا تتناول عليه أجرا إلا ثمن الثياب التي ستبدو بها في مشاهد.

وقد نجح الفيلم، ولم تنجح هي، لأنها تصنعت في كل موقف من مواقفه، ولم تجد المخرج الذي يعيب هذا التصنع، بل ربما شجعها المخرج على تصنعها فإن معظم مخرجينا يعتقدون أن الفن تصنع، وينسون المبدأ الرئيسي الذي يعبر عنه الإنجليز «الفن هو ألا تصنع الفن».

* * *

وأصبح الطريق بعد ذلك سهلا ممهدا لا يحتاج إلا إلى الصبر الجميل، لكن كان ينقصها أن تضم إلى أصدقائها بعض الصحفيين ليكتبوا اسمها بأفلامهم في سماء الفن.. وجاءتني ضمن من ذهبت إليهم لتحذثني عن مستقبلها الفني.

واستمعت إلى حديثها وأنا ألمح في أعماقها جوهر الفن الأصيل، الجوهر الذي تخفيه أترية أساليب زعماء السينما المصرية.

ثم قلت:

- هل تريدان رأيي الصريح .. إنك صورة رسمها فنان مبتدئ غبي لموديل جميل. امسحى هذه الأصباغ عن وجهك ، وأبدلى هذا الثوب المزرق بثوب بسيط، واكسرى كعب حذائك الطويل. وكونى ضئيلة بابتسامتك ونظرات عينيك، وتكلمي دون افتعال، ودعى النفس الحلوة تبدو على وجهك، والأصل الطيب يطل من عينيك، ولا تجعلى من رأسك ورشة لمشاريع، بل اعتمدى على القدر واكتفى بالمبدأ الصالح، وامنحى قلبك حق الحياة، ليحيا الجمال الهادئ البقري على خفقاته ..

وقلت لها:

- إنك ستكو بن نجمة نجوم السينما، ولكلك لن تكونى فنانة، إلا إذا درست الفن وتعبت فى دراسته، اقرئى ألف كتاب، وشاهدى ألف مسرحية، وتعلمذى على يد فنان كبير يبدأ بك «السلام» من أوله، حتى يذيب فيك روح الإنسان، ويخلق منك روح الفنان!!

قالت:

- يظهر يا أستاذ أنك خيالى قوى .. أو ريفوار بأه!!

وابتسمت، فإن رجال السياسة أيضا يتهموننى بأننى خيالى!

الله محبة

ليس لى فضل فى هذه القصة إلا فضل كتابتها .. فقد سمعتها من فتاة قبطية أحبت مسلما، وانتهى حبها إلى عذاب. فدارت تتعذب بجمع قصص المعذبات مثلها .. القبطيات اللاتى أحبين مسلمين .. والمسلمات اللاتى أحبين أقباطا ..

قصة كتبتها لأنها مشكلة تعيش فى أكثر من بيت، ويروح ضحيتها أكثر من قلب ..

مشكلة لن يحلها تجاهلها ..

، إحصان ،

كان كل شئ بينهما يبدو طبيعياً، كما يبدو بين كل فتى وفنأة .. ليس فيه شذوذ، ولا غرابة، ولا ينذر بمأساة ..

كان شقيقاً لإحدى صديقاتها، وكانت تراه دائماً كلما رأت شقيقته، ثم أصبحت ترى شقيقته كلما رآته، ثم أصبحت تراه دون أن ترى شقيقته! ..

وإذا بها فى شوق دائم إليه .. إلى وجهه الأسمر فى لون اللبن المحروق .. وعينييه السوداوين الذكيتين، وقامته المديدة كأنه فرعون صغير، ولم يكن يميزه عن فرعون إلا أدبه الكثير، وصوته الخفيض، وكلماته التى ينطقها ببطء وكأنه ينتزعها من بئر عميقة، وينطقها بلهجة صعيدية يحرص عليها رغم أنه لا يزور الصعيد إلا فى كل عام مرة أو مرتين ليجمع محصول أرضه ..

وإذا بها تعيش دائماً معه، فى ذكرى لفتاته ولمساته وإبتساماته النادرة. وإذا بها تضحك كلما تذكرت لهجته الصعيدية، ثم تقلده فيها حتى كادت هى الأخرى تنطق بها ..

وعندما التقت شفتاه بشفتيه لأول مرة، عرفت أنها تحبه .. وإن لم تعرف إلى أى حد يمكن أن تحبه ! ..

ولم تكن فى شك من أنه يحبها .. إنها تقرأ الحب فى عينييه، وتشربه من شفتيه وتسمعه مع أنفاسه ..

إنها تحبه .. ولكن إلى أين؟ ..

إلى أين، هذا الحب؟! ..

وحاولت أن تهرب من تساؤلها .. حاولت أن تهرب من مستقبلها .. حاولت أن تهرب من الحقيقة التى تجاهلتها منذ أن .. ومنذ أن أحبته ..

إنه قبطى ..

(الوسادة الخالية)

وهى مسلمة ..

ومضت بها الأيام فى عذاب، وذبلت عيناها تحت ثقل دموعها، وذوى عودها حتى كأنه جف، وسقطت سحابة فوق وجهها فبدت كأنها تعيش دائماً فى سحاب .. وكانت تراه فترى فى عينييه، وترى عوده فى سباق نحو الجفاف، وتراه يعيش معها فى سحاب .. كانت تعلم أنه يتعذب مثل عذابها، وأكثر .. رغم ذلك لم يواجهها الحقيقة ..

لم يقل لها إلى أين ..

ولم تسأله إلى أين ..

ولكنها لم تستطع أن تهرب طويلاً من تساؤلها، ولا من مستقبلها .. كانت كلما ضم شفتيه إلى شفتيها سمعت دقا كأنه دق دفوف الزفاف، وكلما أراحت رأسها على صدره أحست أنها فى الكوشة، وكلما رآته أتيا نحوها من بعيد خيل إليها أن الملائكة ينشدون من حولها:

«مبروك عليكى عريسك الخفه!!

وكان يجب أن تبحث عن حل .. عن نهاية يستقر عندها حبها .

وبدا تفكيرها يتخذ خطوطا عملية .. إنه يستطيع أن يشهر إسلامه .. ويستطيع بعد ذلك أن يتزوجها ..

إنها مجرد شكليات .. أن يذهب إلى المحكمة الشرعية ويقول أمام القاض: « أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد عبده ورسوله » .. ثم يصحبها بعد ذلك إلى المأذون ! ..

واستراحت إلى هذا التفكير، وقررت أن تدفعه إليه ..

وكانهما كانا على موعد .. فلم يكد يلتقى بها ويمسح شفتيه من فوق شفتيها، حتى قال بصوته الخفيض وكأنه يلزع كلماته من بئر عميقة:

- لقد فكرت طويلا .. يجب أن تنتهي إلى حل ..

قالت وكأنها تزغرد:

- هل تشهر إسلامك ؟ .. !

وصمت طويلا وكأن شفتيه الرقيقتين قد اختفتا من وجهه .

وعادت تقول وقد انهارت فرحتها:

- إنك لا تريد .. لا تريد أن تتزوجني ..

وتحركات شفتاه ببطء:

- لى سؤال واحد ..

ماذا ؟ ..

- هل لو طلبت منك أن تخرجني عن دينك .. تخرجين ؟ ..

وأجابت فورا، وكأنها لم تفكر، ولا تريد أن تفكر:

- نعم ..

ثم سكنت ولم تعلق بشئ، وكأنها أحست بخطورة ما وافقت عليه .. أحست بأن شيئا كبيرا مجهولا قد تخلى عنها، وتركها معلقة بين السماء والأرض، وسلط عليها هواء رطباً يملأ صدرها ويعصف في عروقها ..

وابتسم ابتسامة حانية وقال وهو يحتضنها بابتسامته، ويمسح بيده فوق رأسها كأنها يد قسيس طيب تباركها:

- إلى هذا الحد ؟ .. !

قالت وهي لا تنظر إليه، وليس في صوتها سوى حشجة:

- لقد قلت إننا يجب أن ننتهي إلى حل .. أى حل ؟ .. !

قال وقد أحس ما بها :

- إن كل منا يريد أن يضحى للآخر بأعز ما يملك .. ولكنى لا أريد أن تضحى، أو على الأقل لا أريدك أن تشعيرى بأنك ضحيت وإلا لما غفرت لى أبدا هذه التضحية .. كما أنى لا أريد أن أضحى بدينى لمجرد أنه مفروض فى أن أضحى به .. لنترك الله يختار بيننا .. فهو صاحب دينك ودينى ..

- وكيف يختار الله ؟ .. !

- لنجرب الحظ .. فهو أبسط مظاهر حكم القدر..

وأخرج من جيبه قطعة نقود فضية، وقدمها إليها قائلاً:

- اختارى لك وجهها..

وابتسمت، أو حاولت أن تبسم، واختارت أحد وجهي قطعة النقود، واختار هو الوجه الآخر، ثم وضع النقود في يدها قائلاً:

- اقدفى بها فى الهواء.. والوجه الذى يسقط إلى أعلى يغير صاحبه دينه!!.. وحاولت مرة أخرى أن تبسم، ولكنها لم تستطع.. ووجعت، وأحسست أنها مقدمة على السير فوق الصراط المستقيم، وعندما قذفت بقطعة النقود فى الهواء أحست أنها تقذف بقلبها..

وانحنى تنظر إلى الأرض وقد جحظت عيناها، وكتمت أنفاسها.. ثم شهقت شهقة خافتة، ورفعت رأسها وقد تصلب وجهها ونأهت نظراتها..

أصبح عليها أن تغير دينها وتعتق المسيحية..

وارتبك هو بجانبيها، ولم يدر ماذا يقول، ثم افعل ضحكة جافة.. قائلاً:

- هل صدقت؟!.. لقد كنت أهذر.. إنها نكتة أردت أن أسليك بها.. لا تأخذوها على محمل الجد.. إن الإنسان لا يقامر بدينه، وهذا نوع من القمار..

قالت وهي لا تزال ساهمة:

- إنه القدر.. والحب قدر!!..

.. لن أسمح لك..

- لا نتعب نفسك.. لقد قررت..

ثم التفتت إليه، وركزت عيناها فى عينيهِ:

- قل لى .. هل كنت تشهر أسلامك لو رفضت أنا أن أعتنق المسيحية؟!.. ولم يجب، ولكنها لمحت دموعه فى عينيهِ.. موعاً تشهد على حبه، وتقسم بجميع الأديان أنه لها.. فأنكأَت على صدره تبكى..

وجمعتهما الدموع فى دين واحد..

ولم تتم ليلتها..

ولم تحس بالإسلام وبأنها مسلمة.. قدر ما أحست هذه الليلة.. بل خيل إليها أن كل حياتها وكل ذكرياتها كانت كلها لدين.. أشياء صغيرة مرت بها ولم تكن تذكرها أصبحت تذكرها وكأنها قطعة من حياتها.. الحاجة أم إبراهيم مربية الدها التى تأتى لزيارتهم كل أسبوع لتبخّر البيت ثم تطوف فوق رأسها بالمبخرة وهي تقرأ الأوردة وتتلو الأدعية.. وأم عبده الماشطة، التى كانت تدخل معها الحمام فى صغرها وتذكرها سداها البكر وهي تسكب فوقه الماء الساخن، وتتمتم: اللهم صل عليه وسلم.. قل أعوذ برب الفلق من شر حاسد إذا حسد.. لزيارتها «للقرافة»، لتقرأ الفاتحة على قبر والدها.. ورمضان،

والنفاف العائلة في انتظار مدفع الإفطار .. والعيد وفرحته ..
وصوت المقرئ الذي ينبعث من الراديو ويملو القرآن .. وقسمها
بالنبي في كل مناسبة . أى نبي نقصد عندما نقسم اليوم ؟!

إنها مسلمة .. ولم تكن تدري أن الأسلام يعيش في حياتها
إلى هذا الحد .. إنها لا تصلى ولا تصوم ، ولكن هناك من الإسلام
شئ أكثر من الصلاة والصوم ، شئ يختلط بدمها ، ويتردد مع
أنفاسها ولم تكن تحس به لأن الإنسان لا يحس بدمه ولا يعد
أنفاسه ..

وكادت تجن ..

يا رب .. لماذا لم توحد الأديان ..

يا رب .. وإذا كانت هذه إرادتك فما ذنبي أنا !!

وقامت في الصباح مقرحة الجفنين ، كأنها أفافت من إغماء ..

وذهبت للقاءه ، وصحبها إلى قسيس ليسألاه عن الإجراءات
المتبعة .. وكانت تسير صامئة متصلة العود ، شاردة النظرات كأنها
أتية من عالم آخر .. وكانت تسمع صوته كأنه آت من بعيد .. من
بعيد جدا .. ولا تجيب عليه إلا بهزات رأسها وكأن الناس في هذا
العالم الذى أتت منه ليس لهم ألسنة .. ونظرت إلى القسيس دون أن
تراه .. وخيل إليها أنها أمام عملاق ضخم مجلج بالسواد .. وأن
رأسه الكبير .. كبير جدا .. ولحيته سوداء تتدلى حتى ركبتيه .. ولم
تسمع شيئا مما كان يقوله الرجلان وهى بينهما .. إنما شردت
عينها تطوفان بالغرفة . ثم سقطنا فوق لوحة معلقة بالجدار ..

لمحت شيئا مكتوبا على هذه اللوحة .. حروفا لا تستطيع أن
تلتقطها بعينيها الشاردتين ، إنما هى تهتز وتتموج كأنها حروف
مكتوبة فوق الماء ..

وأجهدت عينيها ، ودققت النظر ، وحصرت ذهنها ، إلى أن
اتضح الحروف أمامها ..

وقرأت : الله محبة ..

وابتسمت ابتسامة باهتة .. ثم ابتسم وجهها كله .. وارتخت
أعصابها المتصلبة ، وارتاحت عيناها الشاردتان .

وأحست أن قلبها يهلل ويضحك ويملأ الدنيا كلها ضحكا .

إن الله محبة ..

الله الحب ..

إننى فهمت مع الله : لأنها تحب ؛ ولأنها هنا من أجل الحب .

والتفتت إلى القسيس لفراه لأول مرة .. وخيل إليها أنه جميل
جميل جدا .. أشبه بكيوبيد إله الحب الذى يصورونه في الكتب ..

واقترب منها القسيس وربت على كتفها بيد حنون وهو يقول
فى صوت كأنه نغم مزمار .. مزمار داود : «بارك الله لك يا
ابنتى ،!

وطأطأت رأسها وقد استبدت بها السعادة حتى خجلت منها ..
ثم انصرف مع فتاتها ..

وسألته وهما فى الطريق :

- إلى أين ؟

- إلى المحكمة الشرعية..

- لماذا؟..

- ألم تسمعى ما قاله القسيس!!

- لا..

- إنك لا تستطيعين أن تغيرى دينك لأنك لم تبلى سن الرشد

بعد..

- وما العمل؟..

- سأعتنق الإسلام..

وتعلقت بعنقه وأخذت تقبله فى جميع أنحاء وجهه..

وقال وهو يقود سيارته:

- هذه المرة.. إنه القدر!..

وتم إشهار إسلامه..

ولم يكن الأمر لديه يتعدى مجرد شكليات يفرضها عليه المجتمع، ومجرد ورقة يوقعها إرضاء للحكومة.. إن ما بينه وبين الله فى قلبه وفى سريره لا شأن للمجتمع ولا للحكومة ولا للمشايع ولا للقميس به.. والله ليس فى حاجة إلى هذه الإجراءات ليعرف إيمانه، وهذه الإجراءات أيضا لن تبدل شيئا مما بينه وبين الله..

أشهر إسلامه وهو لا يشعر بشئ إلا شعورا أشبه بالتحدى..
تحدى قومه وتحدى قوم قناته.. وربما ارتجفت شفتاه وهو يتلو
الشهادتين، وربما ارتعشت يده وهو يوقع الأوراق، ولكنه كذب
رجفته وأنكر رعشته وأقنع نفسه بأنه يؤدى واجبا يفرضه عليه
الذبل، والشهامة، والحب.. وكلها صفات من صفات الله..

وكان عليه بعد ذلك أن يذهب إلى شقيق الفتاة ليخطبها منه
إلى نفسه.. وكانت هذه الخطوة أصعب عليه من تغيير دينه..
بل إنه لم يحس أنه قد خرج عن دينه إلا وهو جالس إلى شقيق
الفتاة كالتلميذ المرتبك أمام لجنة الإمتحان.. يحاول أن يتذكر
كل ما اختزن فى رأسه فلا ينكر منه شيئا..

وقال الأخ الكبير فى هدوء:

- إنى لا أستطيع أن أعترض، فأنت تملك جميع صفات
الزوج الكامل، ولكن..

وسكت الأخ قليلا، وتعلقت أنفاس الفتى بشفتيه..

واستطرد الأخ قائلا:

- هل تجيبنى بصراحة لو سألتك؟

سأحاول..

- هل أشهرت إسلامك إيمانا منك بالإسلام، أم لمجرد الزواج
من شقيقتى؟..

وسكت الفتى طويلا.. واحتقن وجهه.. وأخذ يضطرب بيد
على الأخرى.. ثم قال وهو يختار كلماته بدقة حتى لا يخطئ

وكانه يختار مواضع قدمه فى طريق ملئ بالأشواك:

- الواقع إنى لم أكن متدينا أبداً .. كنت قبطيا بالوراثة وكنت أشترك فى القليل من مراسم الدين بحكم العادة وبحكم وجودى بين أفراد عائلتى .. ولكنى لم أحاول أبداً أن أعى الديانة وعياً كاملاً أو أومن بالدين إيماناً منفصلاً... إنما كنت دائماً أومن بالله إيماناً مطلقاً مجرداً، وأخافه، وأتقى غضبه.. وكنت أومن بالصدق والأمانة وبقيّة المثل العليا دون أن أربط هذا الإيمان بالدين .. فإذا كان هذا حالى وأنا قبطى، فلا تتعظر منى أن أقول لك إنى أؤمن بالإسلام كالدين مفصل، بل إنى أعترف لك أنى لا أعلم من الإسلام إلا أنه دين سماوى ..

- إذا فأنت لا تؤمن بالإسلام .. ولا بالمسيحية !!

- إننى أومن بالله .. وكل الأديان لله!!

- إن الإيمان يحتاج إلى قواعد يرسو عليها، إلى خطوط تحدده حتى لا يكون إيماناً مائعاً يخضع لهوى النفس وأطماع البشر.. والله عندما فرض علينا الإيمان به فرض علينا أيضاً صور هذا الإيمان وتفاصيله، وربط نواصيه ربطاً محكماً حتى لا يترك فيه ثغرة يدخل منها المجادلون ويصحبهم الشياطين ليضلوا العباد باسم الله سبحانه وتعالى ..

- إنى أحسدك على إيمانك، وهو نوع من الإيمان يحتاج إلى قوة روحية لا أمكها .. ولكنى لا أريد أن أنزوج شقيقتك فى الآخرة، إنما أريد أن أنزوجها فى الدنيا .. والدنيا لا تتطلب منى كشرط لزواجها إلا أن أكون قادراً على إسعادها، فاكشف بهذا وأنت تحاسبنى، ودع الله يحاسبنى على الباقي.

- إن الإيمان شرط لحياة الدنيا وحياة الآخرة .. والله يحاسبك فى الدنيا وفى الآخرة.. وأنا أحاسبك باسم الله، ويكاتب المسلمين، وكتاب الأقباط..

- إنى أحبها .. والله مع الحب !

- إن الحب إيمان .. والإيمان يبدأ بالله وبالدين !!

- إن الله جمع بين قلبينا، وأنت تريد أن تفرق بيننا ..

- إنك تتحدى الله!..

- أستغفر الله .. ولو كان الزواج هو مجرد الجمع بينكما، لترككما لله يصدر فيكما حكمه .. ولكن الزواج هو الأولاد وهو المجتمع.. وأنا لا أستطيع أن أغمص عيني عن جريمة ترتكب فى حق المجتمع .. تصور أولادك عندما ينشئون وهم لا يدرون إن كانوا مسلمين أو أقباطاً .. لا يعرفون نبيا يقدسونه، ولا يعرفون قديسين وأولياء يتشبهون بسيرتهم، ولا يسمعون هذه القصص الدينية التى تبدو ساذجة، ولكنها تترك فى نفوس الأطفال خطوطاً عميقة تنمو معهم ونصون مبادئهم، ولا يمارسون هذه التقاليد والطقوس الدينية التى تبدو فطرية تافهة ولكنها تحيط القلوب الصغيرة بأغلفة من السمو الروحاني وتقطر فيها الإيمان قطرة فقطرة حتى تصبح قلوباً كبيرة محصنة أمام الشر وأمام الخطيئة ..

وسكت الأخ الكبير كأنه يقيس وقع كلامه على الفتى، بينما لعنى منكس الرأس يدق الأرض بقدمه دقات خفيفة متوالية. نانه لا يريد أن يسمع ولا يريد مزيداً من الكلام ..

واستطرد الأخ قائلا:

- انظر إلى نفسك ، إنك فتى صالح .. أندري مر صلاحك ، قوة خلقك إنهما في طفولتك وفي نشأتك .. لقد نشأت وأنت تعرف دينك وتعرف نبيك، وترتب مخافة الله معك، وشررت الصديق والإخلاص وبقية المثل العليا مع لبن أمك، حتى لو أنك اليوم تنكر الدين ، وتنكر تفاصيله، وتنكر طقوسه .. إنني أريد أولاد أحتي أن يكونوا مثلك ومثلي، لا أريدهم حيارى بين أم يؤمن في قرارة نفسها بالإسلام، وأب يؤمن في قرارة نفسه بالمسيحية، وكل منهما يخاف أن يفصح عما في قرارة نفسه خوفا من إغضاب الآخر، وكل منهما يخاف أن يروى لأولاده قصص دينه، ويمارس أمامهم تقاليده وطقوسه .. ثم المجتمع ..

.. ١

وقاطعة الفتى وهو يصنع ركبته بكفه في حركة عصبية:

- يبدو أننا لن نتفق .. وقد كدت أياس!

- خير لك أن تياس ..

- إذا، فلن توافق على الزواج ..

- وسأمنعه بكل ما في من قوة ..

- وتتركنا للعذاب !!

- إنني أوفر على أختي عذابا كبيرا ..

- وتظن أن الله يرضى عنك؟!

- إنني أتقى غضب الله ..!

وانتفض الفتى واقفا، ومد يدا باردة إلى الرجل، ثم اتجه نحو الباب .. وفي البهو الخارجي التقى بالقناة واقفة وبين عينيها سؤال متلهف، قرأت جوابه في وجهه المريد وعينه الغاضبتين وسعته المزموتين حتى كادت تختفيان من وجهه .. فشقت وصعت كفها فوق شعبتها حتى تكتم شهقتها وارتفعت في عينيها نظرة فزع وألم كأنها رأت قلبها يذبح أمامها .. ووقف الفتى قبالتها برهة، ينظر إليها ولا يتكلم ولا يملأها يدا .. ثم نقل عينيه إلى أخيها .. ثم خرج !!

وفي الليلة نفسها سحب الأخ شقيقته إلى عزيقته، ومعها دموعها .. وهناك مرت بها الأيام وهي في كل يوم تفقد شيئا من نفسها حتى خيل للناس أنها فقدت عقلها ...

جفت حتى أصبحت تعود الخطاب لا يرويه ابتسام ولا ترويه دموع .. وشرد كل ما فيها حتى لم يعد فيها شيء .. ولم تعد تتكلم، ولم تعد تسمع شيئا مما يقوله لها أخوها، ولم تعد تحس بجوع أو شبع، ولا بظما أو ارتواء، ولم تعد تقف أمام مرآتها، أو تصع الللاء على وجهها، أو تمشط شعرها، أو تبدل ثوبها .. أصبحت كيانا مذهبولا يطوف كالخيال بين أربعة جذران ..

ولم يعد فيها إلا شيء واحد علامة الحياة .. عيناها .. كان فيهما دائما بريق خاطف وكانتا دائما مفتوحتين، وكانتا دائما تبحثن عن شيء .. ربما شيء في عقلها أو شيء في قلبها، أو شيء وراء الحياة ..

ثم بدأت تميل إلى امرأة معينة من نساء العزبة .. تدعوها دائما إلى صحبتها ولا تتناول شيئا إلا من يدها، ولا تتكلم إلا

معها .. وأحببتها المرأة، وحننت عليها ودلتها، وأخلصت في خدمتها .

وجلست يوما تكتب خطابا قصيرا .. بضعة كلمات مرتعشة :
«حبيبى ..»

« لم أعد أحتمل .. إنى أحس بالجنون يزحف فوق صدرى .. سأذهب إلى الله .. ربي وريك .. ربما التقينا هناك! » .

وأعطت الخطاب إلى المرأة لتلقيه في صندوق البريد في خفية من أخيها .. ثم أرسلتها بعد يومين لتقف عند باب العزبة في انتظار موزع البريد، ربما يأتي إليها برد .. وجاءها الرد .. قصيرا .. بضعة كلمات مرتعشة :

«حبيبتى ..»

« لا تذهبي وحدك .. انتظري، سأذهب معك .. أخبريني كيف تذهبين ومتى تذهبين .. التاريخ والساعة بالضبط، حتى نصعد سويا فلا يضل أحدنا طريقه إلى الآخر .. إن الله موافق على زواجنا والملائكة يعدون حفل الزفاف! » .

وفي يوم معين في ساعة معينة، ارتفعت صرختان من ألم في وقت واحد .. إحداهما في عزبة شكرى بكفر صقر والثانية في شارع شيكولانى بحى شبرا .. وخرجت سيارة من عزبة شكرى تطوى الأرض نحو المركز لإستدعاء طبيب، وكان الطريق طويلا والطبيب متكاسلا، وعندما عادت به السيارة إلى العزبة ، كانت الصرخة قد سكنت .. إلى الأبد!!

«استدعى الطبيب القريب فى حى شبرا فجاء سريعا .. استطاع أن يطرد الموت من حول الفتى وأن يسترد السم من «معنه قتل أن يفتك به ..»

كانا قد اتفقا على كل شيء .. اليوم، والساعة، ونوع السم .. لم يبق أمامها إلا الزفاف فى السماء ..

ولكن الله أردھا وحدها .. وتركه فى الدنيا وحيدا مع عذابه فى انتظار زفافه إليها .. إنه يعيش منذ عامين يستجمع شجاعته محاولا اللحاق بها مرة أخرى .. والطريق صعب، وقد جريه مرة، وداق أوله ، فلم يستطيع أن يجريه مرة أخرى إنه يعيش هيكلا متداعيا من ذكريات حبه .. هيكلا يضم من الروح نسمات مائفة، ويضم من الموت فراغا كبيرا هائلا .

يعيش وهو ينثر العذاب من حوله .. فقد عرفت الفتيات القبطيات قصته، وحاولت كل منهن أن تردله الحياة وتبعد عنه الموت، فلم تنل منه إلا أن تعذبت معه وبه .. ابعدوا عنه .. إنه معذب ينثر العذاب! ..

ولكن .. أين الأخ الكبير الجليل ؟ ..

إنه يصلى !! ..

القرآن

كانت القرية الصغيرة قد تعودت في كل شهر من شهور
مضان، أن تستضيف مقرئاً من القاهرة، يحى فيها ليالى
مصان بتلاوة القرآن ويتباهى به أهل القرية على أهالى القرى
المجاورة ..

وكان سيد القرية هو الذى يدفع أجر المقرئ، ونفقات إقامته
. ولكن السيد أضرب منذ عامين عن دعوة المقرئ احتجاجاً
على انقزاع ستين فدانا من أرضه، استولى عليها الإصلاح
الزراعى.

وفى العام الماضى اجتمع أهل القرية فى شبه مؤتمر صغير
لبحث موضوع دعوة مقرئ من القاهرة .. وقال حمدان ساحطا:
- دى بلدنا ما كانش لها قيمة إلا فى رمضان .. دى البلاد
بها كانت بتتلم حولينا علشان يسمعوا الشيخ عبد الباسط ..
بردى وشنا فىن السنة دى .. ده رمضان ما ييقالوش حس!
وقال المعلم قورة الحانوتى:

كفاية عليكم السنة دى الراديو ..

وصرخ عوصين الخولى:

- راديو .. راديو إيه يا عم .. ده حتى حرام !

وقال فرج الله :

- ما نروح نكلم البيه، يمكن يغير رأيه ويجيب لنا الشيخ عبد الباسط !

وقال فتوح:

- ما هو إذا كان الإصلاح هو اللي خد الأرض يبقى حق الإصلاح برضه اللي يجيب الفقى !

ورد المعلم قورة:

- هو يعنى الإصلاح خد الأرض حطها فى جيبه .. ما هو بيوزعها على الفلاحين .. شوف لك فكرة تانية يا فتوح !

وقال الشيخ تمام إمام المسجد:

- ما هو مافيش إلا طريقة واحدة .. كل واحد فينا يحط قرشين، ونبتع نجيب الشيخ عبد الباسط .. وما حك جلدك مثل ظفرك !

وقال فرج الله:

- وإيه عرفنا بياخد كام ؟!

ورد المعلم قورة:

- ثلاثين جنيه .. غير الحلويات .. وغير المضيفة .. وغير الشاي .. وغير النصة اللي بتتنصب كل ليلة للسميعة !

وقال عوصين الخولى:

- يعنى توصلها لخمسين جنيه .. على اثنين، وكليتين دره !

وقال فرج الله:

- أنا كنت محوش من مهر ستهم ثلاثه جنيه .. أدفعهم وربنا يعوضنا .. أحسن ما الناس تاكل وشنا ، ويقولوا كفر ممونة مضلم فى رمضان !

وبدا أهل القرية يدفع كل منهم ما يستطيعه، حتى جمعوا من بينهم خمسين جنيها ..

وجاء الشيخ عبد الباسط وأحى ليالى رمضان .. وتباهى «كفر ممونة» على بقية القرى والكفور .. وجاء إليه الناس يسعون كل مساء لسماع تلاوة المقرئ القاهرى .. وأهل الكفر يرحبون بهم فى اعتداد .. اعتداد لم يشعروا به فى الأعوام السابقة .. إنهم ليسوا رجال سيد القرية، ولكنهم أسياد القرية فعلا . إنهم هم الذين دفعوا من جيوبهم أجر المقرئ ..

وكان هذا فى العام الماضى ..

واجتمع المؤتمر الصغير هذا العام ليتخذ قرارا فى موضوع دعوة الشيخ عبد الباسط .. وقال فرج الله:

- أنا السنة دى على الله .. القرشين اللي دفعتهم السنة اللي فاتت معرفتش أجيبهم تانى !

وقال عوضين :

- والله يا جماعة لو جيتو الحق، أنا ماعنديش حاجة من أصله .. شوية الدرہ اللی عندی یدویک یکفو العیال ..

وقال حمدان:

- ماقضلت إلا تبیع البهیمة!

وقال المعلم قورة الحانوتی:

- علی رأی المثل: «فقر وفقره» .. ما قولنا كفاية علینا الراديو والله ما انا دافع ولا ملیم .. كلکم عارفين السنة دی فانت رى الطین .. ربنا یمد فی أعمارکم .. جرى ایه فی الدنيا، اللی ما حد راضی یموت!

وقال فوح:

- فال الله ولا فالك ..

وقال الشيخ تمام

- یعنی یقوت رمضان کده سَکیتی .. دی ماحصلتیش فی کفرنا من عشرين سنة .. ماتشوفوا لکم تدبیره!

وعاد فرج الله یقول:

- ده حتی کفر حثائة مسهر السنة دی الشیخ الشلهونی .. عاملها بالعدد فینا ..

- الشلهونی .. وده ییجی فین جنب الشیخ عبد الباسط ..

«قال الشيخ تمام:

«الله فکره .. إیه رأیکم نتفق مع أهالی حثائة، ونحط اللی معاه» علی اللی معاهم، ونجیب الشیخ عبد الباسط!

وقال فوح :

- وده اسمه کلام .. طیب حبسهر عندنا، ولا عندهم ؟ .. ما می دی رخره عقده! ..

وقال الشیخ تمام:

- یاسیدی تتحل .. یسهر عندنا لیله وعندهم لیلة!

وقال فرج الله:

- ولیلة القدر عندنا ولا عندهم .. أهی دی رخره مهمة!

وعاد الشیخ تمام یقول :

- یا جماعة ماضیقو هاش أمال .. عندنا ولا عندهم ما هو کله واحد .. کلنا مسلمین وموحدين بالله .. واللی ییجی علیه الدور فی لیلة القدر تبقی السهره عنده!

وقال المعلم قورة الحانوتی:

- أنا مش دافع!

ورد علیه عوضین فی حدة:

لا والله لا نت دافع .. أحس والله لحلف کلنا بالطلاق ما موت ولا ندفن علی یدیک!

«ضح المؤتمر الصغير بالضحك

ونهب وفد من كفر ممونة لمفاوضة كفر حناتة، واتفق الكفران على الاشتراك في دعوة الشيخ عبد الباسط لإحياء ليالي رمضان..

وعندما انتهى الشهر المبارك .. عقدت خمس زيجات بين كفر ممونة وكفر حناتة!

الإنسان في السماء

مات ..

ولم يحس أحد بموته .. ذهب دون أن تترك قدماء أثرا فوق طريق الحياة .. ولو أن كلنا نفق في الطريق لتجمع الناس حوله، ونهامسوا، وربما انقبض قلب بعضهم، وربما استدعوا مندوب جمعية الرفق بالحيوان .. ولكن من سؤ حظ عبد المتجلى - وهذا هو اسمه - إنه ينتمي لنوع من المخلوقات كثيرة العدد .. عندها أكثر من عدد الكلاب .. ومن عدد البغال .. لن يحدث شيء إذا نقص هذا العدد الكبير واحدا .. لن يتنهذ أحد .. ولن يهتم أحد .. وهكذا مات عبد المتجلى في صمت .. كما عاش حياته كلها في صمت .. لم يشك، ولم يتأوه، ولم يستغث حتى بالله .. وإنما ابتلع آلامه وعذابه في صمت .. إلى أن سمع صوت عظامه وهي تتفكك، وأحس بصدره يضيق، وأنفاسه تخمد .. وصمت أيضا .. لم يعرف أنه يموت .. إلى أن مات!

وكل ما حدث بعد ذلك أن تضايق الجيران، سكان حي رينهم، من الرائحة العفنة التي تدبعت من الحجر الضيق العقير

الذى يمكنه ، عبدالمجتلى، فأقتحموه .. ووجدوا الرجل ميتا،
فحملوه فوق أكتافهم : لا لأنه ميت، بل ليتخلصوا من الرائحة
العفنة .. ودفنوه فى حفرة فى مكان من الجبل القريب حفرة لا
يميزها لوح من الحجر أو من الخشب يحمل اسم ، عبدالمجتلى،
ويحتفظ بذكرى عذابه فى الدنيا .. حفرة لم تلبث أن أصبحت
قطعة من طريق يدوسه الناس بالأقدام !

هكذا مات عبدالمجتلى ..

فى صمت .. وبلا مناقشة ...!

ولكنه ما كاد يصل إلى السماء حتى استقبل بضجة لم يسمع
مثيلها فى الدنيا .. وتجمع فريق من الملائكة ينثرون فوق رأسه
أكاليل من اللوز، وينشدون من حوله أنغاما أعذب من كل ما
تذيعه محطة الإذاعة، ويعدون له عرشا من الذهب المومس
بالحرير، فى أبهى قصر من قصور الجنة .. ولكن فريقا آخر من
الملائكة لم يشتركوا فى هذه الفرحة، ولم يرحبوا باستقبال
عبدالمجتلى، إنما وقفوا ينهامسون ويتناقشون وينظرون إلى
عبدالمجتلى فى رثاء يكاد يكون إزدارا .. وعندما مر بهم،
أولوه ظهورهم، واستغرقوا فى مناقشاتهم...

وسأل أحد الصالحين من أهل الجنة :

- ما هذه الضجة !؟

وأجابه ملاك :

- ألا تدري .. لقد وصل عبدالمجتلى !

وقال الرجل الصالح :

- عبدالمجتلى !! من هو عبدالمجتلى هذا ؟! لم نسمع بهذا
الاسم بين الأنبياء، أو الصالحين، أو الشهداء !!

وقال الملاك :

- إنه إنسان كنا جميعا فى انتظار وصوله إلى السماء، فهو
بمثل مشكلة يدور حولها خلاف كبير .. هل هو يستحق الجنة،
أم النار ؟ ..

وقال الرجل الصالح :

- هل هو كافر ؟

وقال الملاك :

- لا ..

- قال الرجل الصالح :

- مؤمن إذا ؟!

قال الملاك :

- لا ..

قال الرجل الصالح :

- وقائمة ذنوبه ؟

قال الملاك :

- ليست له ذنوب !

قال الرجل الصالح في تعجب :

- إذن له حسنات 1؟

وابتسم الملاك وقال :

- لا .. ليس له حسنات !

قال الرجل الصالح ، وقد استبدت به الحيرة :

- كيف قضى حياته الأولى ؟ ..

قال الملاك :

- في صمت !!

قال الرجل الصالح :

- وما حكم الصمت ؟ ..

قال الملاك :

- هذا هو سر الضجة .. إن الملائكة مختلفون بعضهم مع بعض ، وقد أرادت مشيئة الله أن تشكل محكمة يقدم أمامها عبدالمتجلى ، وسيدافع عنه ملاك ، ويتولى الاتهام ملاك آخر .. ألا تأنى .. إن المحاكمة علنية ، والحضور مباح لأهل الجنة ..

وعقدت المحاكمة ..

فتحت الجلسة ..

وتقدم عبدالمتجلى ، وهو صامت يرتجف ، ولا يدرى من أمره شيئا .. وحاول أن يرفع عينيه إلى قضائه فبهره النور الذي يشع

من حولهم .. فأرخى عينيه سريعا .. ووقف صامتا .. يرتجفا .. لا يدرى مصيره ..

وارتفع صوت ملاك الدفاع .. صوت رقيق رائق كنغم الكمان .. يا حضرات القضاة .. لقد عاش عبدالمتجلى متدائرا من العذاب في معطف من الصمت ..

وقاطعه ملاك الاتهام في صوت جميل ولكنه عريض كصوت المكسفون :

- وما هذه التشبهيات الدنيوية .. إننا لا نريد بلاغة !

وعاد ملاك الدفاع يقول :

- إن هذا الرجل تحمل من العذاب أكثر مما تحمل يعقوب ، ورغم ذلك لم يعبر عن شكواه .. و ..

وقاطعه صوت كبير القضاة ، صوت رهيب :

- تكلم في الوقائع .. الوقائع من فضلك ..!

وابتسم ملاك الدفاع وعاد يقول :

- لقد ولد عبدالمتجلى فقيرا ، وماتت أمه بعد أن أرضعته ، وتزوج أبوه السكر من امرأة انتصر عليها الشيطان ، فعذبته .. كانت تكويه بالنار .. وكانت تلقى له بالخبز الجاف .. بينما تأكل هي اللحم والكنافة .. وكانت ترسله ليعمل عند الحداد ينفخ في النار ثم تستولى على أجره الضئيل .. ورغم ذلك لم يشك ولم يتأوه ولم يعترض .. ولم يرفع إلينا دعوى أو استغاثة .. رجاء أبوه المجرم في إحدى ليالي الشتاء وجذبه من شعره وألقاه

خارج البيت .. فلم يعترض .. إنما سار في الطريق .. جاع ولم يحاول أن يأكل .. ويرد ولم يحاول أن يتدفأ .. إنما كان يقدم نفسه لأي عمل، فإذا وجد عملاً لا يسأل عن الأجر .. وإذا لم ينقد أجراً لا يطالب بشيء .. إنه صامت دائماً .. صامت .. صامت وحدث مرة أن صدمته سيارة فوق الأرض شجوج الرأس فلم يصرخ، ولم ينظر إلى السيارة التي صدمته .. وأخذ الرجل صاحب السيارة، وجعله خادماً في الجاراج، ودأب جرح رأسه بأن وضع فوقه حنفية من الطين .. وبقي عبد المتجلى يخدم في الجاراج، ويؤدي بجانب عمله كل ما يأمره به السيد أو أحد من حاشية السيد .. ثم أمره السيد أن يتزوج إحدى الخادמות، فتزوجها .. ورفضت الخادمة أن يقربها أو يضاجعها، ورغم ذلك فقد وجد عبد المتجلى نفسه أباً بعد خمسة أشهر .. فلم يعترض .. ولم يثر .. ولم يرفع رأسه إلينا في السماء ليتساءل عن حكمة الله .. ثم طرده السيد بلا سبب ودون أن ينقده أجراً طول مدة خدمته .. وهجرته زوجته .. وعاش مع الولد الصغير المنسوب إليه .. يسير في الحياة .. ويقوم بأي عمل .. دون أن يعترض .. ودون أن يطالب .. بل دون أن يشحذ .. تصوروا يا حضرات القضاة .. إنه لم يشحذ أيضاً .. وعندما بلغ الولد الصغير الخامسة عشرة من عمره .. طرد عبد المتجلى من الحجر الحقيق الذي كانا يقيمان فيه .. فلم يعترض عبد المتجلى .. ولم يتصمد لإرادة الولد الصغير الذي رآه .. إنما سار في الحياة بلا هدف، ولا أمل، ولا رأى، ولا شكوى، ولا اعتراض، ولا ..

وهنا انتفض ملاك الاتهام وقال بصوته العريض :

يا حضرات القضاة .. إني لا أعترض على كل هذه الوقائع .. إني أعترف بها، وعلى استعداد لأن أزيدكم منها .. وهذه الوقائع بالذات هي عناصر اتهامي لهذا الرجل .. وإني أتهم هذا الرجل بأنه تحدى قدرة الله وحاول تعطيلها .. لقد وهبه الله صوتاً ليشكر به إذا حدث ما يستوجب الشكوى .. وأن يصرخ إذا كان في حاجة إلى الصراخ .. وهبه عقلاً ليدير شئون نفسه في سبيل إسماعها .. وهبه مجتمعاً يعيش فيه ويتعاون معه .. وهبه إرادة يتحدى بها الظلم ويدافع عن نفسه .. ولكن هذا الرجل المسمى « عبد المتجلى » عطل قدرة الله في خلقه .. لم يستعمل صوته، ولا عقله، ولا مجتمعه، ولا إرادته .. إنه بذلك يتحدى الله .. وإني أحكم على هذا الرجل بالجحيم !

ودوى صوت القاضي الرهيب:

- ليس من حقك أن تحكم هنا بشيء .. إنما لسنا محكمة دينوية .. ولكن فقط قل رأيك .. واطرح وجهة نظرك !

وقال ملاك الاتهام وقد خفت صوته:

- رأيي أن الامتناع عن استعمال قدرة الله التي وهبها للإنسان جريمة توازي جريمة الكفر بالله ..

وصمعت الأصوات .. وساد جو رهيب قاعة المحكمة التي أقيمت جدرانها من النور ..

وعبد المتجلى واقف .. صامت .. مرتجف .. لا يدرى شيئاً .. وإن كان قد خيل إليه أنه المقصود بكل ما قيل ..

ودوى صوت رئيس المحكمة يقول:

- يا عبد المتجلى ..

لم يجب عبد المتجلى .. خيل إليه أن الصوت ينمبث من داخله، لا من يناديه!

و عاد الصوت يدوى:

- يا عبد المتجلى .. ارفع رأسك!

ورفع عبد المتجلى رأسه، وملأ النور عينيه .. وسمع صوت القاضى يقول له:

- قل لنا يا عبد المتجلى .. ماذا تشهتى عندما تكون فى الجنة؟ ماذا تطلب؟ تكلم .. لا تخف يا عبد المتجلى ..

وقال الإنسان بعد تردد:

- هل أستطيع أن أطلب أى شئ؟ ..

قال القاضى فى صوت مشجع:

- أى شئ .. كل ما تريد تحت أمرك!

وقال الإنسان:

- صحيح؟

ودوت القاعة بأصوات الملائكة من الفريق المؤيد:

- صحيح .. صحيح .. تكلم .. اطلب ما شئت ..

وقال الإنسان وقد ارتفعت لأول مرة ابتسامته، وتحلب ريقه:

- أطلب طبق فول بالزيت كل صباح .. ورغيف عيش .. ثم

استدرك بسرعة:

رغيعين!!

ووقع على القاعة صمت مخيف .. ثقيل .. ونكس الملائكة المؤيدين رؤوسهم خجلاً .. ولووا شفاهم ازدراء لهذا الشئ الذى حمله الله على الأرض .. وأشاح ملاك الدفاع برأسه كأنه ندم على الدفاع عن هذا المخلوق ..

وانتسم ملاك الاتهام ابتسامة الشماتة والنصر .. وسأل عبد المتجلى نفسه:

أترى .. هل طلبت كثيراً؟ ..

ومالت رموس القضاة بعضها إلى بعض، وأخذوا يتهامون.

وقال كبيرهم:

- لا مفر .. الجنة!

وسأل أحد القضاة:

- والحديثات؟ ..

قال كبير القضاة همساً:

- الرحمة!!

وصدر الحكم بإدخال عبد المتجلى إلى الجنة ..

ولم يفرح الملائكة المؤيدين .. ولم يقيموا احتفالاً، ولا أنشدوا برثيلاً .. فدخل الإنسان الجنة .. وضاء له!!

حائرين بين الحلال والحرام

إنه رسام ..

والناس لا تعرفه .. الناس تعرف ممثلي السينما والمطربين،
والكتاب، ولكنها لا تعرف الرسامين .. وليس هذا ذنب الرسامين،
إنه ذنب الناس .. الناس عندما لا يزال ذوقهم الفني بايذا، خمولا،
لا يتحرك لفن الرسم ..

وقد عرفته منذ بدأ يخط خطوطه الأولى على الورق .. وكان
فقيرا ..

ورغم فقره رفض، بعد أن تخرج في كلية الفنون الجميلة، أن
يشغل مدرسا .. كان يعتقد أنه لا يستطيع أن يعمل شيئا إلا أن
يرسم .. وكان يضحك وهو يتصور نفسه واقفا بين التلاميذ
يعلمهم الرسم، ويقول بصوته الذي ينطلق دائما كأنه لا يعتمد أن
يسمعه أحد :

- بأه ده معقول .. مش لما اتعلم أنا الأول !

وكان يدور على الدكاكين الصغيرة .. دكاكين البقالة
والخردوات .. ويكتب الياقات أو يرسم بعض الزخارف، ويأخذ

أجره ليشتري الألوان والغرشة التي يرسم بها، وقطع القماش التي يرسم عليها.. ثم يذهب إلى غرفته الصغيرة في حي «الطارين» ويرسم.. يقضى الليل كله وهو يرسم ويصبح عليه الصباح وهو يرسم ولم أكن أدري متى ينام؟ ومتى يأكل؟ إنه لا ينام إلا إذا سقط من التعب.. ولا يأكل إلا إذا شعر بألم في معدته وتذكر أنه يجب أن يأكل..

وكان يعيش في أزمة نفسية حادة.. ولم يكن فقره هو سر أزمته.. إنه لم يشعر أبداً بفقره، ولم يشعر أن هنالك شيئا يريد ولا يستطيع أن يحصل عليه.. كان سر أزمته هو حيرته.. حيرة عجيبة.. كان حائرا بين الحلال والحرام.. ما هو الحلال؟.. وما هو الحرام؟.. ولماذا الحلال؟.. ولماذا الحرام؟..

وكان وهو صبي صغير يصلي.. علمه أبوه الصلاة، وملأت له أمه رأسه بقصص الملائكة والأنبياء.. فكان يقبل على الصلاة كأنه يخطو إلى عالم رائع جميل.. فيه جنة، وفيه ملائكة، وفيه شيوخ أنقياء يبتسمون من خلال ذقون جليظة بيضاء.. وكان يقبل على هذا العالم في شوق.. ويقبل عليه وهو ملتش أنعشه خياله، وأنعمه الماء الذي توضع به.. ولم يكن يسأل..

ولم يكن قد عرف بعد كلمة : لماذا.. كانت أمه تحتم عليه أن يلبس جوربا أسود طويلا عندما يقف للصلاة، حتى يغطي ركبتيه من تحت بنطلونه القصير.. فلا يسألها لماذا؟ وكان أبوه يحتم عليه أن يغطي رأسه بالطربوش وهو يصلي، فيصنع

الطربوش على رأسه دون أن يسأل : لماذا؟ وكانوا يأخذونه إلى رباطة الأضحية، ليقرأ الفاتحة.. ويرفع كفيه ويدعو، ثم يمسح وجهه بكفيه.. ولا يسأل : لماذا؟

ولم يكن في عقله حرام وحلال.. كان ما يفعله.. يفعله لأنه يجب أن يفعله.. وما لا يفعله.. لا يفعله لأنه لا يجب أن يفعله.. ولم يكن يسأل نفسه : لماذا يجب؟.. ولماذا لا يجب؟..

والعالم كله في عينيه، عالم صبيان أمهار، يحبون أمهاتهم، ويحبون آباءهم، ويحبون الله.. ويصلون... ويلعبون! ولكنه بدأ يكبر.. وشيء في رأسه بدأ يكبر أيضا.. وبدأ يفاجأ بكلمة : لماذا، تقف في وجهه؟

كان في الرابعة عشرة من عمره عندما سأل نفسه : لماذا تصر أمي على أن تلبسني هذا الجورب الطويل السخيف كلما وقفت للصلاة؟

- لأعطي به ركبتى..

- ولكن لماذا يجب أن أعطي ركبتى؟

- لأنهما عورة..

- ولكن ما هي العورة؟

- العورة هي كل ما يثير مرأة نفوس الناس..

- ولكن ركبتى لا تثيران نفوس الناس، بدليل أني ألبس بنطلونا قصيرا يكشف عنهما.. و..

وتستمر المناقشة بينه وبين نفسه.. مناقشة يشدها من ناحية عقله المنطوق، ويشدها من ناحية عقل أييه وأمه وما وضعاه في قلبه من أحاسيس دينية..

إلى أن انتهت المناقشة بدورة.. ووقف يصلى دون أن يلبس جوربا طويلا، ودون أن يضع الطربوش على رأسه.. ولم تكن ثورته على الله ولا على الدين... ولكن ثورته كانت على صور لا يستطيع عقله أن يهضمها...

ورغم ثورته فهو خائف.. خائف أن يكون على خطأ.. ويدفعه خوفه أحيانا إلى أن يعود ويلبس الجورب الطويل، ثم تعود ثورته وتدفعه إلى أن يخلع الجورب الطويل..

ويدأت كلمة لماذا تكبر أكثر.. وأكثر.. والمناقشات بينه وبين نفسه لا تهدأ.. إنه يناقش كل شيء.. ولا يستطيع أن ينتهي إلى قرار فى أى شيء..

- وتعب.. وأدى به التعب إلى أن ألق عن الصلاة.. لا لأنه كفر بالله.. ولكن فقط لأنه تعب من مناقشة مواضيع لا يستطيع عقله الصغير أن يصل إليها.. إنه يحاول أن يهرب.. يهرب من المناقشة.. ولكن الله فى قلبه.. يؤمن به.. ويخافه.. ويلجأ إليه.. والنقاش النفسى لا يكف عنه رغم أنه لم يعد يصلى..

وإحساسه الفنى يشنته العذاب.. عذاب الحيرة.. وبدأ النقاش يتخذ اتجاهها جديدا :

ما هو الحلال؟ وما هو الحرام؟ هل الكذب حرام؟..

إن والده يكذب.. كذبات صغيرة بيضاء، لا تؤذى أحدا.. هل يدخل والده النار لأنه يكذب؟ لا.. إنه لا يوافق على أن يدخل والده النار..

ربما لم يكن الكذب حراما.. إن الحرام هو إيذاء الناس..

فإذا كذبت ولم تؤذ أحدا فالكذب ليس حراما.. بل ربما لو كذبت لتريح الناس وتسددهم، لأصبح الكذب حلالا..

وما هى الفنون؟ إنها الكذب.. والفنانون ليسوا سوى قوم يدعوا فى الكذب.. للممثل هو رجل يقف أمامك ويكذب عليك ويبتكلك إلى حياة يصورها فى قصة.. هل يدخل الفنانون أيضا النار لأنهم يكذبون ليسعدوا الناس.. كذبهم حلال! ولكن.. هل هذا صحيح؟

من يحدد إذا كانت هذه الكذبة تؤذى، أو لا تؤذى؟

ليس هناك مقياس..

هل تترك لكل فرد أن يحدد مدى حقه فى الكذب؟

هذه فوضى.. إن القاتل يعتقد أن من حقه أن يقتل.. والسارق يعتقد أن من حقه أن يسرق.. فلو اعترفنا للناس بحق الكذب لتمادوا فيه..

ربما كان من الأفضل أن نعتبر الكذب - كل أنواع الكذب - حراما..

ولكن.. و..

وتستمر المناقشة.. وتشدد حيرته بين الحرام والحلال..
ريتمذب..

وقد ظهرت هذه الحيرة فى كل لوحاته التى رسمها..
ولا تشعر فى كل هذه اللوحات أنه يبدى رأيا، أو يتنقد.. لا
.. إنه حائر.. مجرد حائر تعذبه وتقلقه حيرته!
ويلغ قمة العذاب عندما أحب.. أحب امرأة متزوجة..
وأحبته..

وبدا يسأل نفسه، هل حبه حرام أم حلال؟

ولم يكن يناقش موضوع العلاقة الجنسية.. إن العلاقة
الجنسية فى نظره أنه من أن تناقش.. ولكنه كان يناقش
العاطفة.. عاطفته.. حبه.. هل هو حرام أم حلال؟

إنه حرام.. كل الناس يقولون إنه حرام.. ثم إنه يتحدى على
حق رجل آخر، والاعتداء على حقوق الغير حرام، لأن فيه
أيذاء.

- ولكن ما هو حق الغير الذى اعتدى عليه؟

- إن هذه المرأة ملك لرجل آخر..

- كيف تكون المرأة ملكا لرجل.. إنها ليست متاعا.. إنها
شخصية كاملة مستقلة.. وقد تزوجت بلا حب.. بل لم تختار
زوجها.. اختاروه لها.. وتزوجت لأنها كان يجب أن تتزوج..
تماما كما يلتحق الشاب بوظيفة.. والوظيفة لا تمنعها من
الحب.. إن الوظيفة عندما تحب لا تعذب أنها خانت مدير

الشركة.. ولا يعتبر حبيبها معتديا على حقوق الشركة.. وهذا
الزواج ليس سوى شركة.. شركة لتربية الأولاد، وللسعى فى
الحياة.. وهذا الزوج ليس سوى مدير شركة!! و.. ويخاف هذا
المنطق.. ويرفع عينيه إلى السماء كأنه يبحث عن جوابا
لميرته.. ويطن صوت فى أذنيه كالصراخ :

- لا.. الزواج ليس وظيفة.. إنه ليس مجرد شركة.. إنه
ترب شخصين فى كيان اجتماعى واحد.. وأنت لا تتحدى بحبك
على الزوج لوحده، إنك تتحدى على المجتمع..

ويشدد خوفه.. فيهرب من حبه.. يهرب من حبيبته.. ثم لا
يلبث أن يغلبه حبه، فيعود إليها.. ثم يهرب مرة أخرى.. الحلال
يشده من ناحية والحرام يشده من ناحية أخرى.. وهو حائر..
ولم يعد يحتمل حيرته.. مرض.. أصيب بالسل.. وترك السل
يسعى فى ركنيه حتى أشرف على الموت..

ودهب إلى زيارته وهو راقد فى فراشه..

وقال لى وعلى شفطيه ابتسامة ضعيفة تطل على وجهه
الأصفر:

- أتعلم ما هى الفترات السعيدة التى عشتها.. إنها الفترات
التي كف خلالها عقلى عن النقاش، وخلصت روى إلى الله..
فاستكانت، وهذأت.. بيدد أننا يجب أن نلقى عقولنا حتى نتمتع
براحة الإيمان..

قلت وأنا أشفق عليه :

- ان الذين يضعون العقل فى خدمة الروح يصلون إلى الإيمان.. والذين يضعون الروح فى خدمة العقل، يحتارون ويتعبون.

قال : ماذا تقصد ؟

قلت :

- إن الإيمان راحة للنفس، يجب أن تسلم به قبل أن تفكر.. ثم بعد ذلك تفكر فى حدود هذا الإيمان.. إن الإيمان كالدواء الذى يكتبه لك الطبيب.. والطبيب هنا هو الله.. وأنت لا تناقش الدواء قبل أن تتناوله.. لا تسأل عن مركباته وكيفية صنعته.. ولو سألت.. تعبث، واحترت.. إنك لست كيميائياً.. وربما أدى بك السؤال، إلى رفض الدواء، وعز عليك الشفاء..

ونظر إلى كأنه لم يفهمنى، ثم قبض على يدي بيده الهزيلة المعروفة، وقال وعيناه تلمعان:

- كيف تفرق بين الحلال والحرام ؟

قلت :

- إن التعاليم التى نطلقها والتي تفرق بين الحلال والحرام وضعت لتنظيم المجتمع.. إنها كقوانين المرور.. إنهم يحتمون علينا أن نسير على اليمين، مع أن السير على الشمال ليس مستحيلاً.. ولكننا نسمع الكلام ونسير على اليمين حتى لا يصطدم بعضنا ببعض.. إنه مجرد تنظيم لتحركات المجتمع..

أما من ناحية الفرد.. فإن كل آدمي فيه لمسة من الله تسمى الصمير.. وهذا الصمير هو الذى يفرق بين الحلال والحرام.. الحلال هو ما لا يؤذى نفسك أو غيرك، والحرام هو ما يؤذى أو يؤذى غيرك.. والصمير هو مقياس حساس لما تسببه تصرفاتك من أذى..

قال وهو يرتعش :

- هناك أفراد بلا صمير..

قلت :

- هؤلاء لم يعرفوا الله..

وسكت طويلاً وأنفاسه الضعيفة تنمزق على شفقيه، ثم برقت عيناه كأنه رأى أمامه نورا، وقال كأنه لا يعتمد أن يسمعه أحد :

- هناك حقيقة واحدة لا تحتل النقاش..

قلت :

- ما هي ؟

قال وظل ابتسامة يكسو وجهه التحيل :

- الموت !!!

ثم التفت إلى مرة واحدة، وعاد يقبض يدي بعنف، قائلاً :

- أنتى أريد الموت.. أنتدرى لماذا ؟

قلت وأنا أريت على يده وأحاول أن أرفه عنه بابتسامتى :

- لماذا ؟

قال :

- لأننى بعد الموت سأعرف ما هو الحلال والحرام .. و ..
وسكت برهة .. ثم ازداد اتساع عينيه واشتد بريقهما، وصرخ :

- هل سأعرف .. هل هناك بعد الموت .. و ..
وقاطعته بسرعة :

- نعم .. ستعرف .. ستعرف ..

وألقي رأسه على الوسادة فى إعياء، وثمتم :
- لا أدرى ..

رجل أعلن إسلامه

إن فى القاهرة ثلاثة ملايين قصة .. وأكثر .. إن كل إنسان
بمربك هو قصة .. قصة تختفى خلف وجهه .. فإذا ما استطعت
أن تصل خلف هذا الوجه، رأيت حياة عجيبة .. حياة لا تخطر
ببالك .. حياة لم تكن تعتقد أنها تعيش فى القاهرة .. وتذهل !

وأنا أذهل كلما سمعت قصة عجيبة تعيش فى المدينة التى
أعيش فيها .. ويبدو أنى سأقضى عمرى كله متهولاً .. فإنى
مهما عشت لن أستطيع أن أستمع إلى خمسة ملايين قصة ..
ستبقى دائماً قصة لم أسمعها بعد ..

وهذه قصة جاءتلى فى خطاب من الدانمرك ..

صاحب الخطاب جندي من جنود البوليس الدولى .. والفتاة
التي تشاركه قصته أعرفها .. ولكنى لم أكن أعرف أبداً - ولا
أتخيل - أنها تخفى خلف وجهها هذه الحياة ..

واقروا معى هذا الخطاب ..

أحببت القاهرة .. إنها مدينة تأخذ القلب .. وقد عشت فيها
وقلبى مأخوذ، أسير فى أحيائها كأنى أسير فى مدينة مسحورة
نديت فوق السحاب .. كل أيامى فيها كانت أشبه بالخيال .. ثم

أفقت من خيالي يوما لأكتشف أن قلبي سقط مني.. سقط في يد فتاة من القاهرة..

ولم يكن حبي مجرد خيال انسقت فيه.. أحببتها.. لم أحبها كسائح.. لم أحبها كمغامر.. لم أخضع لنزوة آثارها الجو الشرقي المثير الذي أحاطتني به القاهرة.. لا لقد أحببتها بحلى.. بكامل وعيى.. أحببتها كأنى عشت معها العمر كله، كأنها فتاة من الدانمرك، أو كأنى شاب من القاهرة..

وتسل الحب في بساطة.. دون أن أدري أنه الحب..

التقينا في حفلة، وقدمها إلى زميلي في فرقتي، كانت له صديقة يعرفها.. وقضينا المساء كله نتحدث.. حديثا عاديا مهنيا.. ثم التقينا نحن الأربعة - زميلي وصديقه، وهى وأنا - فى اليوم التالى.. وفى اليوم الذى يليه التقينا وحدنا، ورحنا نطوف بمعالم القاهرة، والحديث بيننا لا ينقطع.. حديث طويل يمكن أن يستمر العمر كله.. ولا أذكر عما كنا نتحدث ولكنها مثقفة.. أكثر ثقافة من أى بنت فى الدانمرك.. وكان حديثا كله ثقافة..

وقضينا بعد ذلك أسبوعا نلتقى فيه كل يوم.. وقدمتني إلى عائلتها.. عائلة بسيطة طيبة.. كنت أشعر وأنا جالس بين أفرادها كأن الدنيا كلها حلوة آمنة، ليس فيها مشاكل، ولا حروب.. ثم..

انتهت إجازتى وعدت إلى فرقتى المعسكرة فى غزة.. وتركت حبيبتي.. تركتها دون أن نتبادل كلمة حب.. بل دون أن أنتبه إلى أنى أحبها..

وهناك.. وسط الجلود، ووسط الصحراء.. بدأت أستعيد أيامى معها، ثم وجدت نفسى أسير هذه الأيام.. لا أستطيع أن أتحرر منها، ولا أستطيع أن أفكر فى غيرها.. لم يعد لى يوم أنكره، وأعيش فيه إلا يوم قضيته معها..

وحاولت أن أنسى.. حاولت أن أقنع نفسى أنه لم يكن بينى وبينها سوى صداقة دفعتنى إليها غريتى عن بلدى وعن أملى... حاولت كثيرا.. ولكنى لم أستطع.. وعرفت.. عرفت أنى أحبها..

وبلغت بى لهفة الحب إلى حد أن فررت من فرقتى.. فررت من واجبي كجلى.. وعدت إلى القاهرة.. إليها..

ولم أحاول الاختفاء فى القاهرة.. بل إنى لم أحس بإحساس الجندى الهارب حتى أخفتى.. كل ما كنت أحس به أنى أريد أن أراها، وأن أبقي معها..

والتقينا.. وبدأ حديثنا الطويل ينقطع، وكل منا ينظر إلى الآخر، كأنه حائر فيه.. حائر فى عواطفه نحوه..

وبدأت يدي تلمس يدها لمسات سريعة، فتنفض يدها فى بدى، ويكتمى وجهها بلون الورد..

هل هى تحبى؟

لا أدري.. لا أدري ولا أستطيع أن أعيش معها العمر كله، وأنا لا أدري.. فكان يجب أن أسألها.. ولكن أخاف أن أسألها.. أخاف من جوابها..

وبدأت أحدثها عن حياتي الخاصة، التي لم أكن قد حدثتها بها من قبل..

قلت لها إنني متزوج.. فلم يبد على وجهها الذعر ولا الهلع.
وقلت لها إنني أب لأربعة أولاد أكبرهم في العاشرة من عمره.

فابتسمت في حنان..

وقلت لها إنني منفصل عن زوجتي رغم أننا لم نطلق.. فدهشت.. ولكني شرحت لها حياتنا في الدانمرك.. إن كثيرين من الأزواج منفصلون عن زوجاتهم دون طلاق.. كل منهم له حياته الخاصة..

وصدقتني.. ثم قلت لها إنني أحبها..

وترددت قليلا، ثم ابتسمت وقالت :

- إنني سعيدة بحبك لي..

ولم أفهم ما تعنيه.. ولم تحاول هي أن تعينني على الفهم وأخيرا قلت لها :

- إنني أريدك زوجة..

وتعقد جبينها كأنها غصبت، ثم قالت:

- إنك لن تطعم مدى حاجتك إلى الزواج بي، إلا بعد أن تعلمين على مصير أولادك من زوجتك..

وسكنت.. سكنت دون أن أدري إذا كانت موافقة على الزواج أم لا.. موافقة.. وكل هذا حدث خلال شهرين عشتهما معها في القاهرة، هاربا من فرقتي.. ثم قررت أن أعود إلى الفرقة لأسعى إلى العودة إلى بلدي، حتى أقرر مصير زوجتي وأولادي، ثم أعود إلى حبيبتي..

وسافرت إلى غزة..

وهناك اكتشفت أن فرقتي قد غادرت غزة ورحلت إلى الدانمرك..

واكتشفت أكثر من ذلك..

اكتشفت أن القيادة العسكرية، بعد أن عجز البوليس الحربي عن العثور على، أعتبرتني مفقودا.. كأني قُلت.. مت..

وعندما اكتشفت القيادة أنني لازلت على قيد الحياة قبضوا علي.. أدخلوني السجن باعتباري جنديا هاربا، ثم أرسلوني إلى الدانمرك لأحاكم هناك..

وعندما وصلت إلى بلدي، عرفت أن زوجتي قد بدأت في اتخاذ إجراءات الطلاق باعتباري مفقودا، وبدأت تطالب باسم أولادي.. بالمكافأة التي يصرفها الجيش للمفقودين من الجنوب..

وخاب أمل زوجتي عندما رأته أمامها.. لازلت حيا.. لكنني طمأنتها ورجوتها أن تعتبرني ميتا وساعدتها على إجراءات الطلاق، وتعهدت لها بما يكفيها، ويكفي أولادي العمر كله..

وقدمنت إلى المحاكمة.. وحكم على بالسجن سنة.. أنا
الجلدى الهارب..

أتدري ماذا قال المحامي دفاعا على وهو يلتمس لى البراءة..
قال لنى وقعت أسير سحر القاهرة، إلى حد أنى نسيت واجبى..

اللهم.. لقد قضيت العام فى السجن وأنا أحاول أن أنسى
حبيبى.. وأنسى القاهرة.. لم أرسل لها أى خطاب خلال هذا
العام.. ولكن.. أتدري ماذا كنت أفعل، وأنا أتظاهر بمحاولة
النسيان؟ كنت أدرس الدين الإسلامى!!

قرأت القرآن كله.. مترجما.. وقرأت كل ما وصل إلى يدى
من شروح الإسلام.. وكنت أحس وأنا أدرس الإسلام بأننى
أكتشف دنيا جديدة.. أحسست كأنى لم أبدأ حياتى بعد.. كأنى
أولد من جديد.. وأحسست بقوة.. قوة الإقبال على حياة لم
أعشها بعد.. حياة عريضة لآمال كبار..

وخرجت من السجن.. خرجت وأنا أكثر لهفة على حبيبى..
إننى أريدها.. أريدها ليهدا قلبى بعد هذا القلق الطويل الذى
عشت فيه.. أريدها لتقف بجانبى فى الدنيا الجديدة.. لتشاركنى
آمالى الكبار..

وأرسلت لها خطابا طويلا.. قلت لها لنى مستعد أن أعترف
الدين الإسلامى، إذا وافقت على الزواج.. وقلت لها كل ما تريد
فداء أن تعرفه عن الرجل الذى تتزوجه.. عائلتى.. وثروتى،
وشهادتى.. و.. و.. ثم قلت لها أننى بعد أن أعترف الإسلام لى
أستطيع أن أعيش فى الدائم.. إن فى بلادى موجة من

الانعصاب متفلق فى وجهى أبواب الرزق.. ولكنى مستعد أن
أدرك لى وأعيش معها مسلما فى أى مكان من الأرض..
وانطردت ردها..

أتدري بماذا ردت على؟..

قالت لى فى خطاب قصر: «الدين إيمان، وليس مجرد إجراء
من إجراءات الزواج! هذا كل ما قالته، وفسرته فى عدة
سطور..»

لم تقل إنها قبلت الزواج بى.. ولم تقل إنها ترفض الزواج
بى.. وجنلت..

إنها دائما هكذا.. غامضة غموض البرق.. تضع رأيها فى
حمل فلسفية مبتورة كأنها تختبر ذكائى.. كانت تعذبى..

وأرسلت لها خطابا غاصبا ثائرا، أطلبها فيه بأن تعلن رأيها
بسرعة.. هل تريدنى زوجا، أم لا تريدنى زوجا.. وجاء
ردها..

رد قصير.. أكثر سراجة، ولكنه لا يخلو من أسلوبها
الماضى، وعقليتها المتفلسة..

قالت لى:

«إن أولادك الأربعة أولى بك منى، وأولى بك من نفسك!!
وهمت أنها ترفض.. وتملكنى ثورة عليها.. لكن، لماذا أثور
عليها؟»

إنها لم تخدعنى.. وفى كل أحاديثنا الطويلة لم تقل لى مرة
إنها تحبنى.. ولم تعطنى حقاً تعطينه فتاة لحبيبها..

ربما كان كل خطئها أنها تركتنى أحبها..

لا.. ليس لها ذنب.. إنها فتاة رائعة.. فاضلة.. إنها غير
البنات..

وكنمت ثورتى، وأغلقت قلبى على حبها...

أتدرى ماذا فعلت بعد ذلك؟

اعتنقت الإسلام.. اعتنقته بلا ثمن.. وبلا منفعة خاصة..
اعتنقته لا كإجراء شكلى، ولكن كإيمان.. وهاجرت من بلدى..
أحمل إسلامى وأضرب فى الأرض.. ولكنى لن أعود إلى
القاهرة.

لا إله إلا الله

إبراهيم لا يزال يذكر أول سؤال حيره وتوجه به إلى أمه
.. لا يزال طفلاً فى الخامسة من عمره.. فقد كان يرى أباه
.. فى صباح كل يوم قبل أن يخرج من البيت وكان يقف خلفه
.. ويقلده فى انحناءات الصلاة ولم يكن أبوه يدعوه إلى
الصلاة معه ولكنه كان يعرج عندما يراه واقفا خلفه يقلده.. وبدأ
.. سلك صلاته بصوت مرتفع كأنه يريد من ابنه أن يتلوها
.. واءه ويحفظها منه بل إنه بلا تردد وفى فترات متباعدة كان
.. يحسه حلالها، استطاع أن يقلنه صورة الفاتحة حتى حفظها.
.. فى يوم سأل إبراهيم أمه، كمجرد خاطر طرأ عليه دون تردد:

- هل الرجال وحدهم هم الذين يصلون؟

وقالت أمه ضاحكة :

- الرجال والنساء كلهم يصلون ..

وقال فى دهشة :

- ولماذا لا تصلين أنت مع بابا ..

واحتصلته تقبله وهى تقول..

- إني أصلى مع خالك ليبي :

وقال فى دهشة :

- لماذا تصلىن مع خالى ولا تصلىن مع بابا ..

وقالت وهى تمسح بيدا على شعر رأسه :

هكذا تعودت .. وتعود بابا .. ونحن الاثنان نصلى لربنا ..

وربنا واحد ..

وقال وهو يضحك لها كمعادة الأطفال عندما يطلبون شيئا :

- أريد أن أراك وأنت تصلىن مع خالى ..

قالت وهى تبعد عنها فى حنان كأنها لا تريد أن يطيل معها الكلام .

- إننا لا نصلى فى البيت ..

وسأل بدهشة :

أين تصليان ؟

قالت فى رفق وهى تنظر إليه فى لوم كأنها تتمنى عليه أن يرحمها من هذه الأسئلة :

فى الكنيسة ..

وسب الكلمة فى رأسه بطنين مرتفع .. إنها المرة الأولى التى سمع فيها لفظ كنيسة . ترى ما هى الكنيسة ؟ وقال ولهجته اجعل رنة إصرار :

أريد أن أرى الكنيسة ..

وقالت أمه وهى تقوم مبتعدة عنه :

- حاضر ..

وتركته وهو يسقط فى بحر الحيرة التى عاش فيها طوال حياته .. وقد انتظر يومها حتى عاد والده إلى البيت وانتهز فرصة اختلاعه به وقال له وهو يلقى بنفسه على صدره ويقبله :

- بابا .. لماذا لا تصلى فى الكنيسة .

ورده أبوه وهو يضحك ويحتضنه :

- إني أصلى فى البيت أو فى الجامع ..

ورب لفظ الجامع فى رأسه بنفس الطنين الذى رن به لفظ الكنيسة وقال وقد اشتدت به الحيرة :

- ولكن ماما تصلى فى الكنيسة ..

وسكت الأب برهة وهو ينظر فى عيني ابنه وعيناه تفيضان بالحنن ثم قال كأنه قرر أن ابنه وصل إلى السن التى يمكن أن يواجه فيها بواقع لم يكن يعلمه بعد :

- إن ماما مسيحية وأنا مسلم ..

وقال إبراهيم فى دهشة :

- وما الفرق ؟

وقال الأب وهو يحتضن ابنه بابتسامة :

بالنسبة لنا نحن الاثنى فلا فرق .. كلانا سعيد ومرتاح بإيمانه ..

وقال وهو غارق في الحيرة :

- وأنا.. هل أنا مسلم أم مسيحي..

وقال الأب في عجلة :

- أنت مسلم لأن أبائك مسلم..

وقال من خلال حيرته :

- هل لو كنت فتاة كنت أكون مسيحية كما..

وقال الأب بسرعة..

- لا.. الأبناء أولاد وبنت كما يحملون اسم الأب يحملون

صفته كمسلم أو مسيحي..

وقال كأنه يهم بالبكاء :

- ولكني أحبك وأحب ماما.. وسأكون مسلماً مثلك ومسيحياً

مثلاً..

وقال الأب وهو يتلع ريقه كأنه بدأ يعاني من ابنه :

- مستحيل فأنا أيضاً أحب ماما وماما تحبني وكل منا يعيش

إيمانه دون أن يكون فيه ما يعكر حبه.. ولا تشغل نفسك بهذا

الموضوع.. ودعها على الله ..

وقال الصبي بسرعة كأنه يدافع عن نفسه :

- ماما قالت لي إن الله واحد..

وقال الأب وهو يتعد عن ابنه :

لا إله إلا الله .. وعندما تكبر ستعرف أكثر..

مرحله والده وهو يغوص أكثر في بحر الحيرة وقد أخذ يلح

منه حتى أصبح صبحته صباح يوم أحد إلى الكنيسة ووالده يعلم

أنه يعترض وكأنه أمر طبيعى أن تصحبه إلى الكنيسة. وقد

حسبها يستمع إلى الترانيل وينقلها في كل حركاتها ثم

يأمله إلى السقف والجدران بعينه مأخوذاً بالصور المعلقة

وحده دون أن يفهم شيئاً وليس فيه ما ينبض بإحساسه إلا أنه

يعتقد أنه وقد عاد إلى البيت وبدأ يلح على أبيه قائلاً :

لقد رأيت أمي في الكنيسة وأريد أن أراك في الجامع..

وكان أبوه يرد عليه قائلاً :

أفصل أن تتلفظ حتى تكبر وتذهب إلى الجامع وحدك

وهي تكون دوافعك من إيمانك لا من إيماني..

لكن إبراهيم الذي كانوا يدلونه باسم «برهم» أخذ يلح حتى

سجد معه في صلاة الجمعة.. وأمه تعلم أنه صحبه إلى الجامع

أن تعترض أو تعلق بكلمة وكأنه من الطبيعي أن يصحب

أبيه إلى الجامع وقد جلس بجانب أبيه يسمع القرآن ثم بدأ يلقيه

في كل حركاته بعد أن أقيمت الصلاة ويردد مع إمام الجامع

العامحة التي كان قد حفظها ويدير عينيه بين السقف والجدران

والصليين كأنه يحاول أن يكتشف شيئاً يفهمه وإن كان كل

شيء اكتشفه وهمه هو أن أباه كان فخوراً به بين المصلين كأنه

بما هي بأنه أنجب مسلماً..

وقد سأل أباه يومها وكان هذا هو كل ما خرج به من الصلاة
فى الجامع:

- لماذا يجلس المصلون فى الكنائس على مقاعد ويجلسون
فى الجوامع على الأرض..

وقال الأب مشفقاً فى حدان :

- إنك لم تكن فى الجامع جالساً على الأرض ولكن على
سجاد. وكل الأديان تركع لله ويكون ركوعها على الأرض
وإحساسك بالله يغلب إحساسك بكيف تكون وأنت متوجه إليه
لأنه إحساس يرفعك إلى السماء.

ولم يستطع برهم أن يتخلص من الحيرة التى يعيش فيها
وربما كان مما يعيش هذه الحيرة فى نفسه أن ليس حوله ما
يخرجه منها أو يعينه عليها فأبوه وأمه عاشا كل حياتهما فى
أقوى وأرقى حالات الحب لم يسمع منهما يوماً خلافاً أو نقاشاً
حول إسلامه أو مسيحيته بل إن كلا منهما كان حريصاً على
رعاية إيمان الآخر، فأمه تطوى سجادة صلاة أبيه بيديها وتهتم
بحفظها ورعايتها.. بل إنها اشترت له أكثر من سجادة أعجبت
وكانت تتباهى بها كأنها اشترت تحفة مقدسة. وكانت فى أيام
رمضان تطيق على البيت كله تقاليد الصيام وهى نفسها كانت
تصوم أياماً ولا تأكل إلا مع العائلة ساعة الإفطار وإن كانت فى
معظم الأيام لا تستطيع أن تحرم نفسها من فناجين القهوة ومن
السجائر. وكل أعياد المسلمين يحتفل بها فى البيت حتى أن أمه
كانت تشتري بنفسها الحروف وبشرف على دبحه فى عيد

.. تشتري لروحها وأولادها الملابس الجديدة فى العيد
.. أمه.. وأبوه أيضاً كان حريص على رعاية مظاهر إيمان
.. وولده.. إلى يتركها تتردد على الكنيسة كلما أرادت وهو فرح
.. ويتركها يحتفظ بالصليب الصغير فوق صدرها، ولا
.. بعد انداء، بل إنه سافر مرة إلى الخارج وعدد يحمل بين
.. صلبت ذهبياً موشى بالقصص ليعلقه فوق صدر حبيبته
.. بعد.. وكل الأعياد المسيحية يحتفل بها البيت وعيد
.. الميلاد.. وعيد القيامة المجيد.. وأحد الصنف.. و.. و.. وإن
.. أمه نفسها تعفيهم من التمسك بكل أيام الصيام التى لا
.. أهم فيها أى شيء تدب فيه الروح ولا يأكلون إلا ما أعد
.. لا بالسم ولا بالريد. إنها أيام طويلة تصل فى عيد
.. إلى خمسة وخمسين يوماً وهى عيد الميلاد إلى أربعين
.. فى بكى أن يصوموا يوماً أو يومين فى كل عيد، كما
.. مما يتبعه المعالون فى التدبير بالصيام كل يوم ريعاء
.. وكل يوم جمعة طوال السنة..

.. منهما كان حريص على زيارة عائلة الآخر خصوصاً
.. المساس، أبوه يذهب مع أمه لزيارة عائلتها وأمه تذهب
.. لزيارة عائلته وكان يصحبان معهما دائماً إبراهيم. وقد
.. رهم أنه رغم السنوات الطويلة التى مرت على رواج
.. ما فإن أباه يبدو عريفاً وهو وسط عائلة أمه متحفظاً
.. كل كلمة ينطق بها وأمه كذلك تبدو غريبة وسط عائلة
.. هى أيضاً متحفظة تفرط فى المجاملة.. أما هو وإخوته
.. معانلتان تعرطان فى الترحيب بهما وتذليلهما، عمرهما

بالهدايا، بل كانت كل عائلة تدعو أحيانا الأولاد دون دعوة الأب والأم.. كأن كلا منهما تسمى لتأخذ هؤلاء الأولاد من العائلة الأخرى..

وقد عرف فيما بعد أن العائلتين كانتا تعارضان بعنف زواج أبيه وأمه.. ولكن حبهما قارم العائلتين حتى انتصر عليهما وتم زواجهما.. كانت أمه تهدد أحيانا بالهروب من العائلة وأحيانا تهدد بالانتحار.. وكان أبوه يتحدى كل عائلته ويردد في هدوء.. سأزوج ماري.. وتركتهما العائلتان يتزوجان دون أى احتفال بهذا الزواج بل إن العائلتين قاطعتا حضور توقيع العقد الذى تم فى مكاتب الشهر العقارى، ولكن لم تمض سوى ثلاثة أو أربعة شهور حتى بدأت العائلتان تعترفان بهذا الزواج.. خصوصا بعد أن تأكدت كل عائلة من سعادة الابن والابنة وإن كان الاعتراف قد ظل حتى اليوم اعترافا من تحت الضرس وفى حدود الرسمية العائلية..

ويبتسم برهم بينه وبين نفسه وكأنه يسخر من نفسه.. لقد كان هو أول ما رزقهما الله ولعلهما أسعياه إبراهيم حرصا على أن يرضيا العائلتين.. عائلة أمه وعائلة أبيه.. فاسم إبراهيم يجمع بين المسيحية والإسلام.. فلم يسمياه جرجس مثلا كما لم يسمياه محمد أو أحمد..

وقد مرت بإبراهيم مراحل متعددة وهو يقاوم حيرته.. مرت مرحلة قرر فيها أنه مسلم.. ويجب أن يتفرغ بإيمانه وبشخصيته للإسلام وكان يعتمد أن يواظب على الصلاة ويصلى كل جمعة فى المسجد ويفكر فى أداء فريضة الحج.. ولم يكن فى ذلك

مجرد مؤمن بالإسلام ولكنه كان كأنه يعتمد أن يفرض شخصية احترامها على كل الناس وعلى أمه وعلى عائلتها، ولكنه بعد فترة بدأ حبه لأمه يشق قلبه كأنه يظلمها ويضطهدها ووجد نفسه وهو «يربص على أداء كل شعائر الإسلام يذهب إلى الكنيسة وحده» به صادق القيس ولكنها صداقة كان لها طابع خاص، فقد كان يناقشه فى الدين لا حاجته إلى الإيمان به ولكن فقط ليعلم لماذا يؤمن أمه.. وكان يترك القيس ويذهب ليجلس مع الشيخ مصطفى رجل الأزهر الشريف وصديق والده ويحادثه طويلا وهو يريد أن يعلم ما يؤمن به أبوه.. ولكنه كان دائما أكثر صراحة وجرة وهو يناقش أباه.. وقد قال له يوما :

إن الإسلام يهدينا إلى أن الله واحد والمسيحية أيس تهدى إلى أن الله واحد فلماذا لا أكون مسلما مسيحيا..

وقال له أبوه فى إشفاق:

- إن شهادة الإسلام لا تقتصر على أن الله واحد ولكنها تنص على أن محمدا هو رسوله. وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.. فإن لم تؤمن بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو وحده نبيك فأنت لست مسلما.. وقال إبراهيم مجادلا وكأنه يجادل نفسه:

- ولكن القرآن الكريم يؤكد أن عيسى هو أيضا رسول الله.. لو كان الله قد أرسل محمدا قبل موسى لكان الإنجيل قد نص أيضا على أن محمدا هو رسول الله.. كل من تلقى الوحي وحمل رسالة ذكرهم القرآن.. وكلهم أنبياء.. فلماذا لا نجتمع كلنا حولهم كلهم..

وقال الأب وهو يزاد إشفاقا على ابنه:

- إن لله حكمة فى التطور بالبشرية وهدايتهم.. وبين
المسلمين من كانوا مسيحيين وبين للمسيحيين من كانوا يهودا
وكانوا يطورون وفقا لإرادة الله وكان النسي محمد هو آخر
الأنبياء أى آخر مراحل التطور التى أرادها الله هداية للنشر..

وقال إبراهيم فى جزع:

- ولكن أمى لم تتطور إلى الإسلام..

وقال الأب فى هدوء:

- الله لا يكلف نفسا إلا وسعها.. ولم تتسع نفس أمك للتطور
عاشت نفسها هادئة مرتاحة مريحة بإيمانها بالمسيحية ولكنها
لا تفهم حكمة الله.. فلم ترفض الإسلام كحكمة أرادها الله..
وتزوجت مسلما.. أنجبت مسلما.. وقال إبراهيم فى حدة:

- هل تزوجتك ماما لأنك مسلم:

وقال الأب فى هدوء:

تزوجتنى لأن الله جمع بيننا لتزوج.. الله الواحد الأحد..
وابراهيم لا يتحرر أبدا من حيرته يسير فى الحياة وكأنه نائه
ولا يكف عن مناقشة نفسه فى اختيار الطريق إلى أن انتقل إلى
مرحلة أخرى.. مرحلة الطمأنينة.. إنه ليس فى حاجة إلى دين
سواء كان الإسلام أو للمسيحية كل ما يحتاج إليه هو العلم..
والحياة كلها علم.. والأديان نفسها ليست سوى قواميس للعلم..
والله أسهى من دراسة علم الإسلام وعلم المسيحية.. فلينتقل

أنا للعلوم الأخرى ويدرس تكنولوجيا الحياة. إنه ليس ممثلا
مسيحيا. إنه عالم يبحث فى أسرار الدنيا وخيل إليه أنه
أرمياح..

بكر المعاناة بدأت تعاوده، معاناة الحيرة.. ووجد نفسه
ب من أمام أبيه وهو يراه يصلى الصباح.. ويهرب من أمام
.. وهو يراها متوجهة إلى الكنيسة يهرب مقاوما ما يعاينها.
.. لا يرنح إلا عندما يجلس مع مادلين ابنة خاله لبيب.. إنه
عسى بها كمسيحية ولكنه يحس بها كأنها تكمل وجوده سواء
سلم أم مسيحية.. ويحس بها كأنها أمه.. إنه يحسها بكل ما
.. الحب. إن الله الواحد الأحد جمعهما وإذا جمع الله بين
.. فناء فهو سبحانه وتعالى يعرض عليهما إعلان الزواج..

ب معارضة العائليتين لهذا الزواج عنيفة كما عارض
واج أمه من أبيه.. خصوصا وأن أباه وأمه رحبا بهما
كروحين. وقال إبراهيم وهو يتنهد ساخرا من تردده..

سأرى أن نبت عائلة أمى يصعبن أم فتين الإسلام.. ولعل
.. له كله أن تعلن إسلامها حتى يستطيع فتينا أيضا أن
يدعوا مسلمات..

.. لا.. إن الذى يعير دينه فقط ليصل إلى فتاة يريد أن
.. معها إما بحدود وينصب على دينه وعلى الدين الذى انتقل
حدع وينصب على الإسلام وعلى المسيحية.. وكثير من
.. علقوا إسلامهم فقط ليتزوجوا من مسلمات.. فعاشوا

ضائعين لا يستطيعون أن يعيشوا الإسلام ولا يقبل منهم
المسيحيون أن يكون استمرار إيمانهم في الخفاء كأنهم يخفون
عورة.. فعاشوا ولا يعترف لهم أحد بدين.. وتم زواج إبراهيم
ومادلين..

وجد إبراهيم نفسه في صبيحة ليلة الزفاف يقوم ويفرش
المجادة ويصلي صلاة الصبح.. وقد هدأت حيرته فهو مسلم
ويتطلع مبتسما إلى مادلين وهي خارجة إلى الكنيسة.. لقد تحقق
له ما حققه أبوه وأمه.. واجتمع الإسلام والمسيحية في بيت
واحد..

ولا إله إلا الله..

الحب في رحاب الله ..

ملت أن تتزوجه ولم يكن قد مر سوى يوم واحد على تقدمه
.. ولم تكن تعرفه أو تعرف شيك عن حياته الخاصة أو حياته
.. له سوى ما رددته أمامها أفراد العائلة لصديفة التي جاءت
.. إيهب .. كما إنه ليس وسيما حتى يعرفها وسامته إلى حد اتخاذ
.. مرور المريع.. إيهب تذكر يوم جاء إيهب ورأته لأول مرة أنها
.. حسب أمامه مدخلة في أنه الكبير الصحم وتبنيه انصيفين
.. لا تحملان أي لون كأنها تسائل نفسها هل يمكن أن تحمل
.. هذه الحلفة.. ولكنه كان متعجلا.. إما أن تقبله أو ترفضه..
.. متعبية بأول نظرة وبما سمعته عنه.. فهو يعمل في إحدى
.. عمارات الخليج العربي.. وقد مضى عليه أكثر من عشر سنوات
.. لا يترك مقر عمله.. ولم يأت إلى مصر هذه المرة إلا بعد
.. أن اطمأن إلى أنه أصبح يحقق دخلا وفيرا يجعله قادرا على بناء
.. عائلة ثرية.. وقد جاء إلى مصر فقط ليتزوج ويصحب زوجته
.. معه مورا إلى مقر عمله.. كأنه جاء إلى سوق الجوارى ليشتري
.. حارية.. ولم يكن لديه الوقت الكافي حتى يستكمل تجاوبه مع
.. إى حارية إلى أن يتخذها زوجة.. يكفيه التجاوب مع الملامح
.. التي تعرض عليه.. وقد تجاوب مع ملامح عنلية..

وكان ما يسيطر على عقل عدلية وهى تفكر فى زواجها من هذا الرجل الذى تقدم إليها ويريدها سريعاً قبل أن تستكمل معرفتها به هو أنه سيصبحها إلى بلد آخر.. وهى تريد أن تجرب الحياة فى بلد آخر.. لقد زهقت من روتين حياتها فى مصر.. رغم أنها لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها.. ثم إنها تسمع عن دول إمارات الخليج العربى التى سيصبحها إليها بأنها دول غنية كريمة سخية.. وتستطيع بما يجمعه زوجها من أموال أن تسافر كل عام إلى أوروبا لقضاء أيام الاجازات كما يقال عن كل العائلات المصرية التى يعمل رجالها هناك.. إنها تريد أن تتفرج على العالم.. وتشترى من كل دكاكين العالم.. وتتحرر من هذا الروتين الملل الذى تعيش فيه..

ورغم ذلك كانت تمر بها لحظات تكاد تقرر فيها رفض هذا الرجل.. ورفض الزواج به.. ربما لأنها أصلاً لم تشعر بعد بحاجتها إلى الزواج.. وهو ليس أول رجل يتقدم إليها.. فقد تقدم إليها حتى الآن خمسة خطاب رقصتهم كلهم.. لأنها ليست فى حاجة إلى الزواج ولم يكن بينهم من يثير حاجتها إليه.. وهى واثقة من أن إقبال الخطاب عليها لن يتوقف فمعروف عنها أنها من عائلة محترمة.. وهى نفسها فتاة محترمة يشيد بها وبأخلاقها وتصرفاتها كل الناس.. ولم يؤخذ عليها أبداً أى تصرف يمكن أن يؤدى ولو إلى مجرد اللوم.. وقد كانت هى نفسها منذ وعت حريصة على هذا الاحترام بين الناس وداخل العائلة وفى المدرسة.. ولم يكن يطرأ على أحاسيسها أى خاطر

مما يطرأ على أحاسيس المراهقات.. كخاطر الحب.. ثم تتعرض ل... ما يسمونه الحب أو الغرام بأى شاب.. كما لم تحس أبداً بأنها... ومة من هذا النوع من الحب أو أنها فى حاجة إليه.. كل... سيمسها كانت تفرغاً لحياتها العائلية والمدرسة التى تذهب... وقد اختارت أن تلتحق بمدرسة المعلمات.. إنها تريد لنفسها شخصية المعلمة.. الأستاذة.. شخصية «أبلة».. إنها شخصية تؤكد الأعزاز بالنفس والقدرة على القيادة.. حتى لو... قيادة طلبة وطالبات.. وقد تخرجت فعلاً من مدرسة المعلمات ولكنها لم تجد عملاً لأنها لم تصل بعد إلى سن التعيين... مدرسة فى إحدى مدارس الأطفال.. وربما لأنها هى نفسها... أنها اختارت أن تكون مدرسة لم تكن فى منتهى الحماس... التدرّس.. واستسلمت لأن تعيش بلا عمل.. وإن كانت... تتحمل مسئولية التدريس لإخوتها الصغار.. أو تلبى رجاء... القربى للتدريس لأطفالها.. دون أن تعتمد احترام... التدريس.. أى دون أن تقبل أى أجر على التدريس لأطفال... الحراس.. إنها فقط تتطوع للتدريس دون أن تتقيد بهذا التطوع.. وحفظ لنفسها بحريتها الكاملة.. أى قد تلقى الدرس ثم تعذر... الدرس التالى.. ثم قد تعود إلى الدرس الذى يليه.. حتى... عنها إنها فتاة كسول.. ولكن عدلية نفسها لم تكن تنهم... بالكسل رغم ما كانت تمر بها من فترات الملل.. إنها ليست كسولاً ولكنها مستسلمة لكل ما تفرسه شخصيتها على... حالها..

ولعل أبرز ما عرف عن عدلية هو تدينها العميق وحرصها على أداء جميع فروض الإسلام.. وكانت تدمن أداء الصلاة.. نصلى الفروض وتصلى ما تعرفه من تعاليم السنة.. وأحيانا تستمر في الصلاة إلى أبعد مما تحدده الفروض وتوحى به السنة.. إنها تحس براحة كاملة وهى واقفة بين يدي الله.. تركع وتسجد له.. وربما كانت مع إيمانها العميق الصادق الذي يدفعها إلى الصلاة تحس بأن الصلاة هى الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تلجأ إليها لقطع الوقت والهروب من الزهق الذي يحيط بها.. وليس حراما أن يلجأ المخلوق إلى الله بالإسراف في أداء الصلوات حتى يستعين به سبحانه وتعالى ليحميه من الأخطاء التي يمكن أن يدفعه إليها الفراغ والزهق والممل..

وما عرف عن تدين عدلية وحرصها على أداء الفروض جعلها أكثر احتراما في المجتمع وأشد جذبا لراغبي الزواج..

وهي تعلم أنها يوما ما يجب أن تتزوج.. ولكنها ليست متعجلة في الوصول إلى هذا اليوم ولا تبحث حتى بخيالها عن الرجل الذي يمكن أن تتزوجه.. ولكنها فقط تضع بينها وبين نفسها شرطا للرجل الذي يمكن أن يجمعها به الزواج.. وهو أن تعرفه معرفة كاملة قبل أن يكتب العقد.. تعرف تفاصيل شخصيته وتفاصيل حاله.. حتى لا تلقى بنفسها في المجهول.. وهذا الرجل الذي تقدم إليها أخيرا لا تعرفه ولا تعرف عنه إلا أنه ناجح في عمله.. إنه المجهول.. ولكن هذا المجهول يقدم إليها حياة تتطلع إليها وتتمناها.. حياة توفر لها ما يفتقدها من الملل والزهق والفراغ الذي تعانيه.. الحياة بعيدا عن مصر..

ومما عرف عن الروتين البارد الذي تعيشه العائلة.. ورغم لحظات العود التي كانت تعانيها بين القبول أو الرفض.. فقد انتصر طابع هذا المجهول.. وأعلنت في اليوم التالي قبول الزواج من عبد الحميد عبد الحى.. وهى تحس بموافقتها كأنها مقبلة على مرة بإلقاء نفسها في المجهول.. وقد فرحت العائلة بموافقتها مرة كبيرة رغم أنها أيضا لا تعرف عن عبد الحميد شيئا إلا ما سمعته من العائلة التي قدمت.. وهى عائلة محترمة صديقة لا رتب أن تتقدم إلا بعريس محترم يستحق الزواج بابلتهم..

وم الزواج بسرعة عجيبة وعبد الحميد يلبي كل مطالب العائنة دون نقاش مهما غالت في مطالبها.. وإن كان يبدو أحيانا مكثه بحيل.. فقد رفض أن يقيم حفل زفاف عاما في أحد الفنادق وأصر على أن يكون حفلا عائليا داخل البيت.. بحجة ألا وه لديه لتوجيه الدعوات.. وكان يحمل حلية الشبكة في جيبه ومن إنه سبق أن اشترأها من البلد العربي الذي يقيم فيه.. لأنه لم يست إلى القاهرة إلا بولية الزواج.. ورغم أنها تبدو حلية ثمينة.. سوار من الذهب الأبيض أو من البلاتين كما قال عبد الحميد.. حمل قصوصا صغيرة من الماس لا يريد أكبرها على ثلاثة دراريط.. إلا أنها لم تعجب عدلية وقد وعدا عبد الحميد أن يستبدل بها حلية أخرى بعد أن يصلا إلى الخليج.. فالسوق هناك أوسع وتعرض فيها حلى أرقى وأفخم مما يعرض في مصر.. كثير من المطالب كان يوجهها إلى أن يلبسها هناك.. بل إن العائلة طلبت منه في رفق ولباقة أن يشتري أو يوجر شقة في القاهرة قبل أن يسافر.. لتكون حصن الأمان لمستقبل الزوجية..

ولم يرفض عبد الحميد ولكنه ترك لهم البحث عن هذه الشقة
فبدأ وجدها أرسلوا إليه ليرسل إليهم قيمة التكاليف .. وعندما
سألوه عن مدى ما يستطيع أن يدفعه .. قال في عموص:

- ربنا يقدرني ..

ورفض أن يحدد قيمة الثمن الذي يمكن أن يتحملة ..

وكل هذه المطالب كانت تناقش في جلسات عائلية هادئة
يسودها الحرص على تحقيق مشروع الزواج ولم يكن عبد الحميد
يتعمد إطالة هذه الجلسات .. يصبر فوراً بعد أن ينتهى من
دعوة إلى الغداء .. ولا يتأخر في جلسة معهم عن الساعة التاسعة
مساء .. ويصمم على الانصراف وكأنه على موعد .. وكانت
الجلسات كلها كأنها جلسات عمل .. لا تتخللها أى محاولات
للتعبير عن أى تمهيد للعلاقة الزوجية .. فلم يحاول مرة ولو
الإمساك بيد عدلية والصعق عليها كعلامة من علامات لقاء
عاطفى ..

وفي اليوم العاشر بعد أن بدأ اللقاء كان قد تم كل شيء
وصحبت عدلية وهى روجته إلى موطنه على شاطئ الحليج
العربي ..

مشروع لم يستغرق إعدادة سوى عشرة أيام لتبدأ عدلية
بعدها حياتها الزوجية ..

وقد دهلت عدلية و السيارة تحملها من المطار إلى بيت
الزوجية وتلقت حولها تتطلع إلى ما تمر به .. إنها مدينة حممة

.. لا يبدو فيها أى شيء يستكمل أى مظهر عربي .. إنها
.. كأنها دخلت مدينة أقيمت حديثاً في إحدى الولايات
.. كنيه كالمدين التي تشاهد صورها في الأفلام السينمائية أو
.. شقة التلفزيون .. الشوارع واسعة أصعاف تتسع أى شارع
.. صر .. والأشجار الراهية قائمة على الحائنين والأرصفة
.. بالحشائش .. رغم أنها مدينة قائمة في صحراء ولم تكن
.. أنها ستجد فيها أى ورقة صحراء .. وسهرت أكثر وهى
.. شارع الكورنيش الممتد على ساحل البحر .. كأنه كله
.. لا نهاية لها .. إن شارع كورنيش الإسكندرية يبدو أمامه
.. حارة مهلمة حائفة .. رغم أنه يسمى أيضاً شارع
.. الكورنيش .. ثم أن المدينة كلها تبرز بالنظافة .. وأسفلت
الشوارع يبرق ويسقى كأنه طرز لثوب حديد أحر موديل بلف
.. حساء .. ولم تر في أى شارع أى رحام كالرحام الذى
.. حى شوارع مصر .. والناس تمشى كأنهم فراشات تطير فى
.. الهواء ولا يصطدم أحدهم بالآخر .. وعمارات شاهقة كأنها
.. محبت سحب .. وفيلات رائعة داخل حدائق تبدو أشجارها
.. .. كأنها أنعام تعزف أروع ألحان الجمال .. وقد لمحت
.. سحابة أو مسحين صغيرين متواصعين أقيما فى انزواء بين
.. امبربات الضخمة .. كأن كل مسجد يحتبىء فى عمارة دون أن
.. على تحديقها بالفرق عليها فى الصحامة والروعة .. ولكن
.. لمساعدى التى ذكرتها بأنها فى مدينة عربية إسلامية ..

.. دلت عدلية - وهى بجانب عبد الحميد - لا تكف عن التعبير
.. ببهارها .. وتلقى عليه سؤال عن كل شبر من الأرض التى

تمر عليها.. وهو يجيبها في برود وبلا مبالاة.. كأنه لا يحس معها بشيء مما يمران به يمكن أن يثير أي انتباه.. ولكنها ببينها وبين نفسها اتخذت أول قرار وهو أن تفضي أيامها الأولى في هذه المدينة وهي تطوف على كل شبر منها لتففرح عليها .

ولكنها فوجئت منذ اليوم الأول شخصية عبدالحميد التي لم تكن تعرفها.. فوجئت بالمجهول إنه لا يطيق الكلام.. ولا يتصور أن هناك موضوعا يمكن أن يثير أي كلام بينها.. ولو أمجزء التسلية.. ولا يتحرك لسانه إلا إذا طرأ عليه موضوع إدارة البيت وما يتطلبه من نفقات..

وكان يخرج من البيت في الساعة السابعة صباحا إلى عمله كموظف حكومي.. وكانت تعلم أن الحكومة تعلق أبوابها في الساعة الواحدة والنصف.. ولكنه كان لا يعود إلا في السادسة أو السابعة مساء.. ولم تكن تدري أين يذهب ولكنها كانت تشم رائحة الخمر ينقلها في وجهها وهي تستقبله.. لم يكن يبدو محمورا في تحركاته وتصرفاته.. إنه دائما بارد جامد رغم رائحة الخمر التي تهب عليها.. وكان بعد أن يعود لا يقول أكثر من كلمتين.. ثم يمد يده إلى دولاب محصص لاستعماله الشخصي ويشد زجاجة من الخمر ويجلس صامتا ويحب كأسين أو ثلاثا.. وهو صامت دون أن يقاطعها أو يصدها عن أي كلمة تقولها.. وكأنه يتركها تحدث نفسها..

إن آخر ما كان يخطر على بالها قبل أن تتزوجه هو أنه سكير.. لعله كان يصبر على عدم إطالة السهرات في جلساته مع

العائلة حتى ينفرد بنفسه ويشرب الخمر.. ولو كانت قد فت أنه سكير لرفضت قطعاً الزواج به.. إنه يتحدث الدين الإسلامي.. وهي مسلمة منتهى الإسلام.. ولكنها الآن لا تمنع أن ترفضه.. فإن الخمر لا تطلق فيه شخصية تعندى.. ربما لو اعتدى أو جبراً عليها يوما لهربت منه وانفصلت.. ولكنه إلى الآن لم يجرح عن هذا الصمت الذي يكاد يدفعها.. وكانت تتركه يشرب الخمر وحده وتدخل حجرتها.. بله ليرحمه من الخمر ويرحمها منه.. ولا يعرف إنه في صه إلا بعد أن تتأكد أنه أبعث الكأس وأعاد حذوة الخمر إلى المحتسب.. إن إسلامها يحرم عليها أن تجلس في أي حذر.. وتقدم إليه بعد ذلك وحة العشب.. إنه يأكل صامتا دون أن يجدي رأي فيما يأكله ويتذوقه.. لا يعبر عن إعجبه بشيء ولا عن رفضه شيء.. ويأكل كل شيء.. حتى بعد أن يسا من تناول العشاء.. ويجمعهم الفراش يسو في بزوده كأنه على تناول وحة أخرى من الطعام.. ويتناولها في صمت دون أن يحاول إحاطتها بأي إحساس عاطفي وهو يأكلها.. إنه فقط يبتلع ريقه ليساعده على الهضم..

كان قد مضى يومان منذ وصولهما عندما قالت وهي تتعمد الرقة:

أريدك أن تصحبني لأطوف بالبلدة.. أريد أن اتفرج عليها كلها..

وقال في لهجته الباردة :

- ليس فيها ما يستحق العرجة .. لقد مصى على فيها عشر سنوات وأعرفها شبرا شبرا ..

وقالت مقاطعة في رقة :

- ولكنى جديدة عليها وأريد أن أتفرج عليها ..

وقال في هوء :

- تفرجى ..

وقالت في دهشة :

- هل أخرج للفرجة عليها وحدى ..

وقال بنفس الهدوء :

- إن جارتنا سلمى يمكن أن تطوف بك .. فاتفقى معها ..

وكنمت سخطها رغم أن بيرانه تشتعل في صدرها .. وكانت تعرفت بجارتهم سلمى وهى لبنانية وزوجها موظف آخر من .. سلمى الحكومة بعد أن جاء لزيارتهم يهنأهم بالزواج .. ولم .. لا استراحت لصداقة سلمى منذ عرفتها .. إن فى شخصيتها .. بعيدا عن شخصيتها .. الشخصية المصرية والشخصية .. ورغم ذلك تعمدت التقرب إليها حتى يصحبها فى .. المدينة .. ولكنها صاقت بها سريع بعد جولتين تخرج من البيت لتجوب شوارع المدينة وحدها كل حولة انهارا ودهشة .. لم تكن تعرف أن العالم .. كل هذه المنتجات .. كل شيء تحده .. وأشياء كانت

.. من خيالها وخصوصا فيما يمكن أن تزيده المرأة .. إن هذه .. ستورد كل ما ينتحه العالم .. بل إنها لو سألت عن قطعة مسبورة من القمر لوحدها .. وكل شيء مباح فليسأى فى .. سفراء .. والأنزع والسيف مكشوفة .. بل إنها رأت .. دمعات السباحة المسبورة فى كل فندق وكل نادى النيكى .. وصنوبرى .. تكون عارية .. كما أن العصور علبا .. وقد سحرت عندما رأت داخل كل فندق ثياب مر أحم ما تقدمه شركات الفندق العالمية كهيلتون سحرت عندما رأت فى كل فندق مكانا كنه حيلة عربية مفروشة بالوسائد والسجاد على العربى وتقدم فيها القهوة والشيشة .. كنهها تريد أن تذكر بانئنها بأنهم فى بلاد عربى ..

.. تسحب تخرج كل يوم ولا تراعى وقت محدد لتعود إلى .. فزوجها عبدالحميد لا يعود إلا فى أوائل المساء .. بل إلى عاده المتعادي فى الوقوف بين يدي الله فى الصلاة .. ورغم انهيارها الضيف بكل ما تراه فى لم تكن تشتري شيك له قيمة .. فزوجها لم يشركها معه فى أمواله .. بل إنها إلى الآن لا تعرف كم يصل وفى الوقت نفسه لا تستطيع أن تطالبه أو تعرض عليه حارج ميرانية البيت التى حدها لها .. فهذه هى لا تشد شيئا من زوجها .. ولكنها تحترق يوما هذا السوار الذى قدمه لها كشبكة وتركته معهم أنه لا استبدلت به من الدكان الذى اشتراه منه خاتما ماسيا لا

يزيد ثمدا بل يقل عنه قليلا.. وقد أطلعت زوجها على ما استبدلته فلم يعترض بل لم يبد رأية.. المهم أن هذا الاستبدال لم يكلفه مزيدا من أمواله.. بل تركته يذهب إلى الدكان ليسترد فارق الثمن بين السوار والخاتم.. كأنها ترد إليه بعض ما دفعه.. ولو أن صاحب الدكان رفض أن يرد هذا الفارق نقدا وأعطاه به سلسلة مفاتيح ذهبية أخذها لنفسه..

ولكن بعد أسابيع بدأت عدلية تضيق بهذا الطواف في شوارع البلد.. وصنف انبهارها بما تراه.. بدأت تحس أنها لا تعيش في بلد.. بل كأنها تعيش في دكان كل ما فيه مستورد.. وهي نفسها في هذا الدكان ليست أكثر من قطعة مستوردة.. غريبة عن كل ما حولها.. وحيدة.. إن أغلبية المقيمين في هذا البلد من الأجانب المستوردين.. وكل مجموعة منهم أقامت لنفسها مجتمعا خاصا متباعدا عن المجتمع الآخر.. فأهل البلد الأصليون لهم مجتمع خاص بهم.. وجانيهم مجتمع لبناني لا علاقة لهم به.. ومجتمع سوري.. ومجتمع فلسطيني.. ومجتمع كوري.. ومجتمع سوناني.. ومجتمع أمريكي.. و.. و.. والمصريون لهم مجتمعهم الخاص بهم.. وهو أضعف المجتمعات رغم كثرة عدد أفرادهم.. ولا يحقق أى وحدة مصرية أو شخصية مصرية.. إن كل فرد في هذا المجتمع يتبرأ من الآخر ولا يراه إلا كأنه عدو يعتدى على رزقه.. وهو ما أصبحت تعرف به كل المجتمعات المصرية التي تقوم في القرية خارج مصر.. ربما لأن المصريين لم يتعودوا بعد على القرية وعلى حياة الهجرة..

.. حاولت بجرأة أن تقدم نفسها إلى كل هذه المجتمعات .. بل إن زوجها قبل عدة مرات دعوات جارتهم .. لقصاء ليال في النادي اللباني.. ولكنها لم تستطع أن .. وتحاول مع أصدقاء في أى من هذه المجتمعات بما فيها المجتمع المصري.. ووجدت نفسها تنعزل عن كل هذه المدينة .. بعيدا عنها.. بعيدا عن الناس وبعيدة نفسيا عن زوجها.. ولحأت في مقاومة وحدتها إلى الله وقطع الوقت والتغلب على المال بالهوف بين يديه.. لتصلى..

وكن كل ما تنتظره أن يبدأ زوجها في إجازته السنوية .. فرمعه إلى أوروبا.. إنها مشتاقة إلى القرية على متن أوروبا.. كما كانت مشتاقة إلى القرية على هذه المدينة التي أصبحت تقيم فيها.. وقد سأله وهي حريصة على الرقة :

- متى تقوم بالإجازة؟

ويهت وهو يرد عليها قائلا:

إني أرفض الإجازات.. وأستعاض عنها بالبدل النقدي الذي أحصل عليه نظير التنازل عنها..

وقالت محتجة :

ولكني في انتظار الإجازة حتى نساخر إلى أوروبا.. أريد أن لأفرح علي أوروبا..

وقال في برود :

إن كل ما يمكن أن تريه في أوروبا نجديته هنا..

وقالت كأنها تتحائل عليه :

- على الأقل نهرب من لهيب الصيف هنا ..

وقال بنفس البرود :

- إن كل عرفة في بيتنا بها مكيف للهواء .. وكل بناء في البلد وكل سيارة تجرى في شوارعها تحمل مكيفا للهواء .. إننا لسنا في مكيف الهواء هنا من لوازم الحياة كحبيبات المياه .. إننا لسنا في مصر ليخففنا البرد أو يمزقنا الحر .. إن الجو الذي نريدين أن نعيش فيه لا يكلفك لنحديه سوى الصعط على زرار مكيف الهواء ..

وانتهى النقاش بأن استسلمت .. ولعلها لم تستسلم ولكنها كانت تحس بأنها تحوض تجربة مع المجهول .. ولم تنقه هذه التجربة بعد .. بل إن هذه التجربة لم تصل بها إلى الافتناع بأن تنجب أى مولود من هذا الزوج الذى تعيش معه وهي لا تعرفه .. تعيش مع المجهول .. وكانت حريصة على تناول حبوب منع الحمل بانتظام دون أن يدرى زوجها .. وهو أحيانا يعبر في كلمة عابرة عن أمنيته فى أن يرزقهما الله بمولود .. ولكنه لم يكن متعجلا .. ربما كان متفرغا ليجمع أموالا أكثر حتى يبدأ التفكير فى إنجاب وارث .. وهي نفسها كانت تمر بها حالات تشنق فيها إلى أن تنجب .. أن تكون أما .. إن الأولاد يمكن أن يرحموها من هذا الرهق والملل والفراغ الذى تعانیه .. ولكنها لم تقنع بعد بأن تنجب وتعيش بأولادها مع هذا المجهول .. وتكتفى بأن تعيش ساعات أطول بين يدي الله .. إلى أن تذكرت أنها خريجة

.. سة المعلمات .. لماذا لا نحاول أن نعمل مدرسة في إحدى
.. من الأطفال المنتشرة في هذه المدينة .. إنها تحب كل
العمل حتى ولو لم يكونوا أبناءها .. وبدأت تحاول العمل
مدرسة .. ولم يعترض زوجها .. إنها ستقوى راتبا محترما
.. من دخل العائلة .. بل إنه هو نفسه ساهم في محاولة تعيينها
مدرسة .. إلى أن عينت ..

.. حفت بعض ساعات الملل والرهق والفراغ التى تعانيتها ..
.. سرح من البيت مع زوجها في الساعة السابعة صباحا
.. هبت إلى المدرسة .. ولكن المدرسة تنتهى في الساعة الثانية
مدرستها من كل يوم .. فتعود إلى البيت وحدها .. وتحاول
.. وحدها أن تشغل نفسها بإعداد ومراجعة أعمال التلاميذ ..
.. لا يست الملل والرهق أن يرحفها عليها فتجربى للوقوف بين
.. .. تصلى .. إنها لا تطيق هذا الهدوء الصامت الذى
.. .. على بيتها .. بل يسيطر على البلدة كلها .. رغم أنه هدوء
.. محلمن .. فتهرب من الدنيا كلها إلى السماء .. إلى الله ..

وكان بجانب المدرسة مسجد من هذه المساجد الضيقة
التي اصمعه التي تختفى وراء العمارات كأنها تستحي من إعلان
الجمعة .. ومرة كثيرا من أمام هذا الجامع إلى أن وجدت نفسها
.. .. حل إليه .. كأن دافعا مفاجئا عرييا دفعها إليه لتصلى
.. .. والجمع بين النساء والرجال مباح في كل المساجد هناك ..
.. .. يمكن تعلم أن الله أعد لها داخل هذا المسجد الطريق إلى
.. .. مهة أخرى ..

ودخلت الجامع وهي مترددة ترتعش سيقانها في خطواتها.. إنها لم تتعود دخول المساجد في مصر إلا في صحة عائلية خلال مناسبات زيارة الحسين أو السيدة زينب.. وهي المرة الأولى التي تدخل جامعا وحدها.. ولا تدري لماذا دخلت.. لعلها كعادتها تلقى بنفسها في المحلول.. ولكنه الذي المحلول تمتعيت به.. إنها تلقى بنفسها بين يدي الله..

والجامع حال من المصلين بعد أن كانت قد أنهت صلاة الظهر.. ولكنها أحببت بجانب المنبر شحبا جليلا جالسا يرنل القرآن لكرمه بصوت حفيظ هدي. لعله إمام الجامع.. إنها أول مرة تراه فيها وعرفت اسمه فيم بعد.. إنه الشيخ جاسم.. لا شك أن اسمه هو جاسم.. ولكنهم هنا ينطقون ويكتبون حرف لقاف بحرف الحيم. والشيخ جاسم ينسج له مرحبا بمجرد أن رآها.. ابتسامته هادئة مريحة لا تعكس علي عينه أي معنى مرفوض.. وقد رحت ابتسامته بابتسامته خجلة ضائعة..

وكانت قيل أن تدخل قد خلعت حدائنها ولفت رأسها بالوشاح الذي كانت تلف به عنقها.. وهي مطمئنة أنها ليست في حاجة إلى وصوء آخر.. فوفقت فوراً أمام القبلة وأدت صلاة ركعتين بحية للجامع.. ثم جلست فترة على أرض الجامع وهي تحس براحة ترحف عليها لم تحس بها من قبل.. كل أعصابها وأحاسيسها النفسية ترتاح راحة لم تشعر بها من قبل.. ولكنها في هذه الفترة انطلقت عيناها فيما حولها فأرأت رجلا آخر جالسا في ركن من الجامع.. إنها تعرفه.. إنه مصري اسمه المهندس مرتضى رفعت.. وهي تعرفه وتسمع عنه من بعيد ومما يردده

الله مع المصري في البلد من كلام.. ولكن لم يجمعها من قبل أب لاهاء.. وابتعدت بعينها عنه سريعا وهي تستغفر الله لأنها طامس إلى رجل غريب.. وانقضت واقفة وبدأت تؤدي ركعات صلاة الظهر.. وبعد أن أدتها جمعت ساقيها تحتها مستصممة بسلامة الراحة التي تشمئها داخل الجامع.. ولكنها وجدت نفسها أمام بعينها إلى حيث يجلس مرتضى.. وهوجلت بعينها لمعان بعينه.. فهربت بعينها فورا من عينيه ونظرت نفسها دفعه حارجه من الجامع.. وإن كانت قد حيت الشيخ جاسم في هروحاها..

— السلام عليكم..

ورد عليها وابتسامته تكسع نابضة بفرحته:

— بارك الله فيك يا ابنتي..

وعادت إلى بيتها وقضت كل ساعات وحدتها وكأنها لا تزال في الجامع وتطأ على خيالها صورة الشيخ جاسم وهو جالس أمامها.. ثم تبرز في خيالها صورة مرتضى وهو جالس على ناحية منها وتقاوم حتى خيالها في تصويره..

وليس من عاداتها أن تستسلم لتصوير أي رجل غريب.. حتى هو تحاول أن تركز نفسها بين كتب وكرسات التلاميذ لا تستطيع أن تقاوم خيالها وهو يبتعد بها إلى الجامع.

له نرو زوجها عندما عاد حكاية إقدامها على أداء الصلاة في الجامع.. فهو لا يعود إلا ورائحة الخمر تفوح منه وحديث الجامع لا يعرض على مخمور..

وفي اليوم التالي ودون أن تفكر أو تتعمد وجدت نفسها تخرج من المدرسة بعد إنتهاء الدراسة ووجهه إلى الجامع .. كأنها كانت طول حياتها تتردد عليه .. وألقت على الشيخ جاسم التحية من بعيد.. ووقفت تؤدي صلاة الظهر.. ثم طرت ساقبها تحتها وجلست تتمتع بالراحة النفسية التي يوفرها لها الله وهي في بيت من بيوت الإيمان به .. وإذا بالشيخ جاسم يقوم ويقرب منها ويجلس بجانبها .. ويبدأ في التحدث إليها .. ولم يسألها من تكون .. ولا عن حالها .. ولكنه لا يتحدث إلا عن عبادة الله .. وما يعنيه الإسلام .. وهي تتفتح أكثر وأكثر لحديثه .. إنها تفاجأ بكثير من التعاليم والتفسيرات التي لم تكن تعرفها .. بل بكثير مما يتعارض مع ما تعرفه وما تفهمه .. وقد بدأت تناقشه .. ولكنه نقاش هادئ يحيط الجانبين بإيمان يجمعهما معا ..

إلى أن فوجئت بصوت يدخل الجامع ويلقى من بعيد بتحية السلام .. والفتت .. إنه مرتضى .. وسحبت التفانيتها بسرعة وهي تستغفر الله .. وقد انزوى مرتضى بعيدا عنها وعن الشيخ جاسم يؤدي الصلاة .. وهي هائمة في صورته وتذاممها تساؤلات عنه .. حتى دهمها تساؤل تحركه طبيعتها كامرأة .. هل رأها بالأمس فجاء اليوم خصيصا ليستعيد رؤيتها .. ولكنها علمت فيما بعد أن من عادته أن ينتهي من عمله ويأتي إلى الجامع ليؤدي صلاة الظهر .. نفس التعود الذي بدأت تكتسبه ..

وظلت بجانب الشيخ جاسم تستمع إليه وترد عليه إلى أن بعد عنها ليصعد المئذنة ويدعو إلى صلاة العصر من خلال

المذبح فون .. وقامت وأدت صلاة العصر وخرجت من الجامع مصددة ألا تلتفت إلى مرتضى حتى لا تلتقي بعينه ..

.. عدت إلى وحدتها في بيتها وبكرات ساعاتها في الجامع .. من كل حيالها .. وإن كانت صورة مرتضى قد بدأت تشغل أفراغ أوسع من هذا الخيال ..

.. هبت في اليوم الثالث .. والجامع كما هو خال دائما .. وأدت صلاة الظهر قريبة من الشيخ جاسم .. ثم سمعت مرتضى يدخل وهو يعلن التحية .. وإذا بالشيخ جاسم يقول لها:

.. إنه مهندس من مصر أيتا .. وهو كامل الإيمان .. وأعترضه .. وأقنعته واختياره للجامع الذي يجمعه بي .. بل أحس كأنني أبارك به كما يبارك هو بهذا الجامع ..

ومر برد عدلية بكلمة .. ولكن الشيخ انتظر حتى انتهى .. من صلاة الظهر وناداه إلى الانضمام إليهما ليشاركهما .. فيهما في الدين .. كأنه يناديه إلى الاستماع إلى خطاب .. دعوة ليس فيها ما يחדش طهارة الجلسة .. وجاء .. وسى وجلس بجانب الشيخ جاسم بعيدا عن عدلية دون أن .. يصاح .. كأنه يخاف أن يחדش طهارته بلمس امرأة .. وكان هذا هو أول لقاء يجمعهما .. وعدلية تستجمع كل قواها خلال الحديث .. في سرور بينهم حتى تقاوم رجفات عينيها كلما نظرت إليه ..

.. قامت صلاة العصر وأوصاهما الشيخ جاسم بانتظاره إلى أن .. يجلسا وحدهما لا يتبادلان أي كلمة كأن ليس من حق .. أن يفرد بالآخر ولو في حديث .. إلى أن عاد إليهما

الشيخ جاسم.. وأم بهما صلاة العصر.. هو فى المقدمة ومن خلقه مرتضى وعديلة واقفة خلف مرتضى..

وتركت عديلة الجامع مباشرة بعد أداء الصلاة.. وهى تعس بإقدامها على هذا المجهول الجديد.. إن مرتضى يشغل بالها.. لا تدرى لماذا.. ولكنها يجب أن تبلغ زوجها بحكاية أدائها الصلاة فى الجامع فقد تعرفت فيه إلى رجل غريب وليس من حقها أن تلتقى بغريب دون استئذان زوجها.. وانتهزت ساعة الصباح وزوجها يحملها فى سيارته إلى المدرسة.. وهى ساعة تكون رائحة الخمر التى تفوح منه خادمة.. وقالت له:

- إني بدأت أعود بعد انتهاء المدرسة أن أؤدي صلاة الظهر فى الجامع..

ورد عليها كأنه يشفق عليها من جنوبها قائلاً:

- ما دمت تستطيعين الذهاب إلى الجامع بعد انتهاء عمل المدرسة، فلماذا لا تذهبين إلى عمل آخر يوفر لك دخلاً آخر.. أى تبحثين عن عمل يشغلك بعد الظهر.. هذا ممكن فى هذا البلد..

ولوت عدلية شغفها سخطاً.. إنه لا يقدر أبداً تدينها وهو نفسه لا علاقة له بأى دين.. سواء الإسلام أو غيره من الأديان.. وقالت فى حدة:

- لا أريد ولن أبحث عن أى عمل آخر.. ولا عن أى درهم أكثر..

ولم تكم حديثها عن الجامع الذى تصلى فيه، ولم تبلغه أنها تعرفت فيه بمرتضى رفعت..

وبومها أطالت جلستها فى الجامع إلى ما بعد صلاة العصر.. ما بعد يوم يشدد ارتباطها بالصلاة فى الجامع حتى بدأت تحرف أنها لم تعد مرتبطة بمجرد الصلاة.. إنها تحس بدوافعها لادنية مرتضى.. كأنها أيضاً أصبحت مرتبطة به.. رغم أن كل ما بينهما لا يتجاوز هذه الجلسة المتجردة إلا من ذكر الله.. لا به جلسة فى السماء.. ولا تشويها لمسة بينها وبينه.. حتى بهما لا يتصافحان حتى تلمس يدها يده.. وإن كانت عيونهما بدأت تنعقد على الالتقاء فى نظرات بدأت تزداد تعبيراً عن حوارج قلب كل منهما.. ما هذا؟ لطف الحب الذى يجمع بين رجال ونساء قد بدأ يجمعهما.. وهى لم تعترف أبداً بهذا الحب.. ولكنها بدأت تعس كأنها تقاومه.. تريد أن تهرب من الحب قبل أن يأسرها.. تريد أن تهرب من مرتضى.. وقالت لزوجها فى حدة:

- أريد أن أسافر إلى مصر.

وقال فى برود:

- إن مصر بلدنا وملك لنا ونستطيع أن نعود إليها كلما أردنا.. وأنا لا أريد بعد..

- وقالت كأنها تستجدى:

- لقد مضى عامان وأنا بعيدة عن أهلى.. وأصبحت أعانى الشوق إليهم.. أريد أن أراهم وأطمئن عليهم..

وقال بلا مبالاة:

- سافرى إليهم وحذك..

وقالت وهى تكاد تصيح:

- أريد أن يرانى أهلى بعد أن أصبحت زوجة.. أى يرونى

حتى يجمعنى بزوج. ويحب أن تكون معى. لعل الحبه بين
الاهل تجمع بيسى وبينك أكر. وبنى أحشى لو سافرت إلى
مصر وحدى ألا أعود..

وقال عبد الحميد فى هدوء مفتعل:

- اسمعى يا عدلية.. إننا فى هذا البلد لتحقيق هدف واحد

وهو أن نجمع الأموال ونحقق الثراء إلى أن يصل إلى ما نعتز به
كقبا.. وإلى الآن لم أجمع ما نفعنى بالاكفاء.. والحياة هنا
عم أنها توفر كل ما نحتاج إليه بل ونطمع فيه إلا أنها ليست
سهلة.. فأت مثلك أعانى الشوق إلى بلدى وإلى عائلتى
وأصدقائى. بل وإلى رحام مصر وصحب لحبه فيها.. حتى
بسى أشعر كما نشعرين بأبى لو عدت إلى مصر قلن أتركها أندا..
ولذلك فإننى لن أعود إليها أندا إلا إذا قررت أن أبقى فيها.. أى
بعد أن أكون قد حققت ما أريده فى هذا البلد، والذى لم أحققه
كله بعد..

وسكنت عدلية لحظة كئيبها تحاول أن تتحدد فرارا، إلى أن
صاحت:

- مادمت لن تسافر معى فلن أسافر وحدى.. ولعلها لم تتخذ

القرار لا فتاعها بما يقوله زوجها.. ولكن لأنها وجدت حجة
دولها عن مقاومة الحب.. والاستسلام للقائنا مع مرتضى..

وهى كل يوم فى لقاء معه داخل الجامع.. وقد بدأ الحديث
بينهم يتسع ليتحدث كل منهما عن حاله وعن حياته الخاصة..
عن الشيخ جاسم يتركها فترات ليشراف على شئون الجامع
تسع الحديث بينهما وحدهما أكثر ويصطحبان أكثر.. وقد قال
بها مرتضى إنه تزوج منذ خمس سنوات.. ذهب إلى القاهرة
سقاها من سوق الزواجر دون أن يعرف عنها إلا ملامحها..
بعد بها إلى هنا لتقيم معه، وكلما عرفها أكثر تباعد عنها
شتر.. وهى عاجزة عن الأنجاب حتى يجمعها ولو مجرد
لا يباط بمولود.. إن حاله هو نفس حالها. وتروى له نفس
قصة.. إنها تزوجت من المجهول حاء وانقاه من سوق
الزواجر.. وكل ما تكشف لها عن هذا المجهول لم يحقق لها أى
علم من أحلامها.. وقد تعمدت ألا تنجب منه إلا بعد أن نحد فيه
ما نطمئنها على مستقبلها.. وهى إلى الآن لم نحد فيه ما
يطمئنها.. إنها تعيش معه كأنها محكوم عليها حكما شرعا
بالعانة..

وقال لها متنهذا وعيناه تحتضان عينيها:

- إنى أدعو الله فى كل صلاة ألا يحرم أحدا من الآخر..

وقالت وكأنها تخرف تموج اليأس:

- إن الله سبحانه وتعالى قد تركنا للقدر دون أن يمن على

أحدا بالآخر شرعا.. قد تسافر.. وقد أسافر أنا.. ونحرم من أن

أراك وتراني .. تحرم من جلستنا معا بين يدي الله ..

وقال في إصرار:

- للتزوج ..

وصاحت وكأنها قد صدمتها دغشة:

- كيف .. إنك زوج .. وأنا زوجة ..

وقال متنهدا وهو يرفع عينيه كأنه يخاطب الله:

- لا بد أن هناك ما يحقق جمعنا .. إن الله فرض الشريعة ولكنه لم يفرض الشقاء على خلقه .. وفرض الفصيلة مع ما يحمي المخلوق من دفعه إلى الخطيئة ..

ومصت أيام وهما يبحثان عن الطريق الذي يجمعهما شرعا .. وقد أشركا الشيخ جاسم في بحثهما .. والشيخ جاسم يثق في إيمان وفصيلة كليهما .. حتى تحمس معهما لإنقاذهما قبل أن يصلا إلى الخطيئة .. وقال لمرتضى إن الشرع يتيح له أن يجمع بين زوجته وزوجة ثانية .. خصوصا وأنها لا تلجب ..

وقاطعة مرتضى قائلا في تأكيد:

- إنني لا أريد أن أجمع بين عدلية وزوجتي .. لم أعد أطيق الحياة إلا مع عدلية وحدها ..

وقال الشيخ جاسم في هدوء:

- إن الله منحك حق الإرادة ولكنه لم يمنح هذا الحق لعدلية .. إنها لا تستطيع أن تتزوج وهي زوجة .. أي أن تعدد

المرأة الأزواج كما يعدد الرجل الزوجات .. وله في ذلك حكمة ..

وصاح مرتضى:

- إن الإسلام يحمي الخلق من الخطيئة، فكيف يحمينا منها .. أصبحت الشياطين في معركة مع الملائكة في داخلنا ..

وطالت الأحاديث وتشتت الأفكار .. إلى أن دخلت عدلية الجامع في موعدها فوجدت مرتضى على غير عادته قد سبقها إليه .. وألقت عليه بتحفة الإسلام ثم أدت صلاة ركعتين تحية للجامع ثم أربع ركعات فرض صلاة الظهر .. ثم طوت ماقبها تحتها وجلست بجانبه تسأله

- ماذا أتى بك مبكرا قبل إنتهاء موعد عمالك على غير عادتك ؟ ..

وقال مرتضى في هدوء:

- لقد كان الشيخ جاسم ينهي لي أوراق الطلاق .. لقد طلقت زوجتي ..

وقالت في هلع:

- وما نذيتها ؟ ..

وقال مرتضى ولم تكن تبدو عليه فرحة ولكن تبدو عليه الراحة:

- لقد حققت لها أمنية .. فهي أيضا كانت تريد الطلاق وإن .. مطالب به .. لقد كنا نعيش كاثنين من المساجين في زانزنة

واحدة.. وهى لا تزال صغيرة.. ولعلها كانت تعيش على حلم أن تكون زوجة لرجل آخر يعجبها ويسعدھا.. وقد فتحت لها مجال تحقيق هذا الحلم رافة بها.. وقيل أن تشيخ فى هذه الزنانة وتفقد حتى مجرد الحلم.. بقی أن نحقق الأصعب ونكتسب حياتنا معا.. أن يرأف بنا الله كما دفعنى إلى الرافة بزوجتى وتطليقها..

ولأول مرة تمد عدلية يدها وترتّب على يد مرتضى كأنها تواسيه.. وقد عادت يومها إلى بيتها وفكرها مزدحم بالقرارات والتخطيطات وهى نائمة حائرة.. إلى أن عاد زوجها بعد الساعة السادسة مساء كعادته.. ولم تراع حرصها على ألا تجلس معه وتحادثه وهو ينفث رائحة الخمر حوله..

وقالت له منطلقة فى إصرار:

.. عبد الحميد.. لم أعد أطيق.. طلقنى..

وقال عبد الحميد فى برود كأنه لم يفاجأ:

.. لماذا.. هل تريدین العودة إلى القاهرة؟

وقالت فى حزم:

.. لا.. إبنى مرتبطة بعملى فى المدرسة هنا.. والطلاق لا يفرض على أحدهما أين يكون وأين يعيش..

وقال قاطعا

.. إن كل إجراء يقوم على أسباب.. ولا أستطيع أن أقدم على الطلاق إلا إذا اقتنعت بأسبابه.. فما هى هذه الأسباب؟..

وصاحت عدلية:

.. يكفى أنى لم أعد أطيق.. ولا شك أنك تشعر بأنى لم أعد أطيق الحياة معك..

وقال عبد الحميد ساخرا:

.. كل خلق الله يعيشون الحياة وهم يعانون ما لا يطيقون..

وأصر على عدم الاستجابة لطلبها الطلاق.. وحتى لو عادت إلى القاهرة فلن يطلقها إلا إذا اختار هو لا هى الطلاق..

ومن ليلتها بدأت عدلية تنام فى غرفة أخرى من غرف است البعيدة عنه.. كأنها قررت أن مجرد أن يلمسها أصبح يعتبر حراما.. ثم بعد يومين جمعت حاجاتها وانتقلت إلى الإقامة فى البيت المخصص لمدرسات المدرسة.. وعبد الحميد براعى ألا تثير تصرفاتها كلام المجتمع وخصوصا المجتمع مسرى فى هذا البلد.. ويطلق تفسيرات لانتقالها إلى الإقامة فى بيت المدرسات بأنها تريد فترة تتفرغ خلالها لعملها.. وهو مصر على عدم الطلاق..

وكانت عدلية تذهب كل يوم إلى الجامع وتبكي بين يدي مريضى والشيخ جاسم.. وهم ثلاثتهم يريدون أن يتم الطلاق.. إلى أن استطاع الشيخ جاسم أن يحدد موعد لقاء مع عبد الحميد نفسه.. وذهب إليه وبدأ يقول له فى رفق:

.. إن السيدة عدلية مؤمنة تعيش الإسلام وتؤدى الفروض.. أنا أعتز وأفخر بها وأدعو الله أن يرفع كل المسلمات إلى إيمان

وفهم الشيخ جاسم وقال فى هدوء:

.. لقد أبلغنى عدلية أن ترد إليك كل ما أنفقته لإقامة حياة معها .. وتتركها لحياتها وحدها ..

.. لم تكن عدلية قد أبلغته بشيء من ذلك .. لقد انسابها نوبة
.. سخط والقرع عندما أبلغها الشيخ جاسم بما يريد عبد
.. المريد ليطلقها .. وقد جمعت كل ما تملكه وكل ما ادخرته بما
.. حلية الشبكة والحلى التى كانت قد أهديت إليها .. وتنازلت
.. كل ما لها فى البيت .. وأصاف عليه مرتضى من أمواله
.. الدصة .. كما اضطر الشيخ جاسم نفسه أن يضيف إلى أن
.. جمعوا ما يكفى به عبد الحميد لتوقيع ورقة الطلاق ..

ولم تمر الشهور الثلاثة التى تفرض على الزوجة بعد أن يتم
طلاقها حتى تزوج من آخر .. بل اختصرها الشيخ جاسم
.. سبها منذ أن هجرت الزوجة زوجها لا منذ وقعت ورقة
الطلاق .. وبعد شهر واحد كان يعقد الزواج بين عدلية
.. ونسبى .. وأنها بعد الانتهاء من كتابة العقد فى صلاة
.. كعبين شكرا لله تعالى .. وأسألت عدلية فى أن تستمر وحدها
فى صلاة أربع ركعات زيادة فى شكر الله .. ثم قامت تكتب
حطب طويلا إلى أهلها تروى قصة طلاقها من عبد الحميد
.. وأنها من مرتضى .. كأن ليس من حقهم إلا أن يعرفوا دون
حاجة إلى أن يتدخلوا ولو بأرائهم ..

وكان المجتمع المصرى فى هذا البلد البعيد قد تلقى خبر
طلاق مرتضى من زوجته الأولى فى بساطة .. كما تلقى خبر

عدلية .. وقد جاءتنى تروىنى التوسط لديك لإقناعك بأن تحقق
لها أبغض الحلال عند الله .. وهو الطلاق .. وأفعلنى فعلا
بدوافعها إلى المطالبة بهذا الحلال البقيض .. إن التباعد بينكما
واسع .. وأوسع ما فيه أنها تقيم حياتها على الإيمان وأداء
العروض وأنت لا تعبر عن إيمانك ولا تؤدى فرضا .. لقد قلت
لى إنها أصبحت تعيش كأنها أسيرة لكافر ..

وسكت الشيخ جاسم يلقط أنفاسه، ثم قال ولهفته تحمل
معنى التهديد:

.. ثم إنك كما قالت لى تشرب الخمر .. ولعن الله من جالس
الخمر .. وعدلية تكاد تشعر بأنها أصبحت ملعونه من الله لأنها
تجالسك وتعيش معك .. والحمد لله أن مجتمع المسلمين فى هذا
البلد لا يزال يتعاضى عن مسلم من بينهم شارب الخمر .. وإلا
ثاروا عليه وطرده من بلدتهم ..

وكانه يهدده بالثورة عليه وطرده من البلد .. والشيخ جاسم له
فى تقدير الزوج مركز خاص .. فهو من أهل البلد وله مكانة
خاصة بين الحكام .. ولذلك يخشاه .. وقد تلقى كلامه فى
استسلام كأنه لا يستطيع إلا أن يستجيب له .. ولكنه قال:

.. لقد تزوجت عدلية كصفقة من صفقت الحياة .. وهى
صفقة كلفتنى غاليا: المهر .. والشبكة .. والهدايا .. والإعالة .. و ..
و .. ولكن هذه الصفقة لم تحقق لى أى ربح .. ولا حتى الربح
النفسى بإسعادى حتى أعمل أكثر وأنتج أكثر .. وأنا ممسك
بعدلية حتى تحقق لى ما يعوضنى عن التكاليف التى أنفقتها
عليها ..

طلاق عدلية من عبد الحميد في بساطة أيضا.. فإن الطلاق يتم بين المهاجرين في بساطة بساطة ظروف الحرية.. والوحدة بعيدا عن الأهل.. والملل والزهد من ركود المجتمع الذي يجمعهما..

ولكن عندما تم زواج عدلية بمرتضى ثارت صجة في كل المجتمعات.. بعضها ثورات عنيفة.. وبعضها صجة متلددة بحكاية من حكايات الحب..

لقد جمعهما الحب داخل جامع.. والجوامع لا ينطلق فيها إلا حب الله.. فكيف يحس أي رجل بأى امرأة وهو داخل الجامع..

ثم إن الشيخ جاسم بارك هذا الحب وعمل على الجمع بين الرجل والمرأة.. وهو ليس له مهمة إلا حصر الناس في إحساسهم بحب الله..

وبدأت القصة تصور كأنها فضيحة تشمل المجتمع كله والبلد كله..

وتحركات الجهات الرسمية لفض هذه الصجة وعقاب المعصوحين.. وصدر قرار يعزل الشيخ جاسم عن إمامة الجامع أو أى جامع.. كما طرد مرتضى من عمله الذى يعيش منه كما طرد من البلد كله.. وتركت عدلية المدرسة قبل أن يصدر القرار بطردها..

والشيخ جاسم لا يزال رغم طرده من الجامع هادئا وقورا يعيش تعلق المسلمين به والحب له كإمام من أئمة الإسلام..

١٠١. سامته الحانية معلقة دائم بين شفتيه كأنها ابتسامة إشفاق على العاجزين عن الوصول إلى هداية الله.. إن الجامع - كما هو - هو ما يجمع المسلمين بين يدى الله.. اللاجئين إليه مسعئين به.. أى أنه ليس مجرد موقف كمواقف السيارات هو.. فيه الناس لأداء فروض الصلاة.. بل هو بيت المجتمع الربانى يجمع بين المسلمين ليتداؤوا في مشاكلهم الدنيوية..

١٠٢. كس محمد بن يقود الناس ويحل المشاكل بين الأفراد من هذا الجامع.. بل إن الله فرض الحج إلى بيته لمن استطاع إليه سبيلا لا لمجرد التبرك به وتأكيد إيمانهم، إنما ليتبادل المسلمون بحصصهم وبعض مناقشة سبل حماية الإسلام.. تجمعهم لبعض.. وقد نبئت داخل الجامع حالة حب بين مرتضى وعدلية.. حب صاف نظيف يقاوم الشيطان.. فتدخل فى بينهما حتى يعينهما على الشيطان.. وانتصر بهما فعلا على الحيلة.. انتصر على الشيطان.. دون أن يظلم أحدا أو يجعل لاصاره شهيدا أو ضحية.. إنم أراح وضعه لم يعرضه الله.. والله لا يعرض الزواج إلا على أساس الرضاء الكامل للزوج والرجعة.. واستمرار هذا الرضاء العمر كله.. وقد كان كل ما يعيد يعيش هداية الله.. فالله هو الهادى للحب بين البشر.. ورغم فلا يزال الشيخ جاسم حتى اليوم محروما من الإشراف على أى جامع..

أما مرتضى وعدلية غادرا هذا البلد دون أن يفقد أحدهما دحمته بالأحر.. والاثنان مؤمنان بأن الله سبحانه هو الذي

جمعهما وجمعهما في أظهر مكان يتوجهان منه إليه .. جمعهما في جامع يؤيدان على أرضه الصلاة ..

ولم يعودا إلى مصر كأنهما مضطران لمدارة فضيحة .. فهما يعيشان الآن في بلد آخر غريب بعيد .. كأنهما يحسان في الغربة باقترابهما أكثر من الله سبحانه وتعالى ..

وأصبحت عدلية حاملا ..

تنتطلع إلى مزيد من رضاء الله عليها .. فقد وفر لها الزوج الذي تحبه، وسيزيدها من فضله بأن يتمتعها بأعلى درجات الحب ..

الحلال أرخص من الحرام

(١)

خاس يقال عن منصور عبد المجيد أن عقله «كمبيوتر» .. أى
«ما كأنه آلة حسابات يحسب كل ما فى الحياة بالأرقام .. وكل
مطوره يحسبها قبل أن يخطوها .. كم تكلفه وماذا تحقق له ..
«أى عندما يأكل يحسب أنواع وقيمة الفتامينات فى صنف ما
«أى «قيمة ما يمكن أن يصيفه إلى هذا الصنف ليرفع من
«أى «ما فيه من فيتامينات .. ويرفع من قيمة متعة مذاقه عندما
«أى «ثم كم سيكلفه إعداد هذا الصنف من إنفاق .. وهل يوازى
ما تنفقه ما سيعود عليه شخصيا من تزويد نفسه باستكمال
الصحة والعافية .. وتزويدها بمتعة الأكل .. وحتى أحاسيسه
«أى «اطفية يحسبها كلها بعقلية الكمبيوتر .. الحب له أرقام
«أى «به .. والصداقة .. والكراهية .. وقد يحس يوما أنه يجذب
«أى «فاه .. وقد يصل به انجذابه إلى طريق الحب .. ولكنه يحسب
«أى «مات الخطوة قبل أن يخطوها .. ويجد أن هذه الخطوة نحو
«أى «الحب لن تكون فى صالحه ولا تحقق أهدافه فيقلب الكمبيوتر
«أى «به بسرعة ويستطيع ببساطة أن يقاوم انجذابه ويتعد عن
«أى «يق الذى يؤدى به إلى الحب .. وقد تتجه عواطفه نحو

كراهية شخص ما.. إنه لا يطيقه.. ولكن الكمبيوتر يبدأ في وضع الحساب وينتهي إلى هذه الكراهية لن تفيدته وليست في صالحه.. ويستطيع الكمبيوتر أن يتطلب على عواطفه فيتخلص من هذه الكراهية أو يعيش مستسلما.. وهو في طبيعته ليس كريما ولا بخيلا.. ولكنه مستسلم للأرقام التي يضعها له الكمبيوتر الذي يكمن في عقله.. قد يدهش الناس وهو ينفق أمواله في بذخ.. قد ينفق في جلسة واحدة ألف جنيه.. لأن الكمبيوتر خرج بحساب أن هذه الجلسة تستحق ألف جنيه.. وفي جلسة أخرى قد يرفض إنفاق قرش واحد لأن الكمبيوتر قرر أن هذه الجلسة لا تستحق ولا قرشا واحدا.. إن يده لا تمتد إلى جيبه ليخرج منه القرش إلا بعد أن يطمئن إلى ما تعود به يده وتضعه في جيبه.. والحياة كلها أرقام..

ولا شك أن هذا العقل الكمبيوتر الذي يعيش الحسابات ولا يتحرك إلا بالأرقام قد حقق لصاحبه نجاحا هائلا في أعماله.. لقد أصبح الآن مليونيرا مشهورا في مصر كلها.. وإن كانت شهرته محصورة في داخل أعماله وأقنعت حسابات الكمبيوتر بأن يحصر شهرته داخل أعماله ولا يحاول أن يفرسها على الحياة العامة بأن يشتغل في السياسة ويرشح نفسه مثلا لمجلس النواب أو يحاول أن يكون وزيرا بين الوزراء كما يفعل كثيرون من رجال الأعمال الذين وصلوا إلى مستوى المليونيرات.. ولكن هذا العقل الكمبيوتر وصل به في الوقت نفسه إلى أن تكون حياته الخاصة حياة عجيبة..

لقد تزوج حتى اليوم سبع زيجات وأصبح يبحث عن الزوجة الثامنة.. ولم يكن لأي زوجة من زوجاته السبع أثر في حياته.. بل لم تكن لإحداهن صورة واضحة في المجتمع الذي يحيط به.. وإنما كان يتزوج وفقا لحسابات وأرقام تخصص احتياجات حياته الخاصة جدا بعيدا عن عمله وعن المجتمع الذي يعيش فيه..

وهو يتكرر أول زواج له..

كان لا يزال شابا في الخامسة والعشرين من عمره.. ولم يحط على باله أبدا أن يتزوج.. لم يكن في حاجة أبدا إلى الزواج.. إنه بعد أن ترك بيت العائلة وأصبح يعمل ويحقق أرباحا وهو يعيش في شقة خاصة مستقلا بنفسه.. ولا شيء بنفسه وهو مستقل هذا الاستقلال بحياته الخاصة.. بل إنه من هواد إدارة بيته بنفسه.. ويستطيع أن يضع نظاما محكما لكل ما يسمح إليه البيت.. بل إنه كان يهوى الدخول إلى المطبخ بنفسه.. والنزول إلى الأسواق ليشتري اللحم والخضار ويتباهى وهو يعود إلى البيت حاملا بطيخة أو شروة برنقال.. إنه ليس في حاجة إلى ست بيت حتى يفكر في الزواج.. إنه رجل وست بيت..

إلى أن التقى بمديحة.. إنها في بداية شبابها.. جميلة.. ماهرة.. خفيفة الدم.. إنه يحس بمتعة لمجرد رؤيتها والحديث معها حتى بين الناس.. ووجد نفسه ينجذب إليها انجذابا صارحا.. ولكن هذا الانجذاب كان ينحصر في أمل واحد.. وهو

أن يصل إليها.. أن يأخذها بين أحضانها.. وقد حاول الكثير.. بل إن شهوة شبابه تحدث الكمبيوتر الذى يضع له الحسابات فبدأ يسرف فى الهدايا التى يقدمها لها.. كأنه يدفع الثمن مقدما.. ولكن مديحة رغم انطلاقها لم تكن تعطيه شيئا أكثر.. ربما كانت لا تكرهه ولكنها لا تحبه إلى حد أن تعطيه أكثر.. ربما لأنه ليس وسيم ويستطيع أن يستغل وسامته فى إغراء أى بنت كما يفعل كثير من الشبان فى إغراء البنات.. إنه يعلم عن نفسه أنه ليس وسيماً وسامة زاعقة ولكنه ليس قبيحاً فى صورة وجهه أو فى قوامه.. إنه شكل عادى بين الرجال وإن كان يعيل إلى القصر وله كرش منفوخ قليلاً لا يستطيع أو يزيل انتفاخه.. ورغم ذلك ظل يلاحقها ويلج عليها ويسرف فى هداياه.. إنها كلفته كثيراً دون أن يصل إليها.. إلى أن بدأت تصارحه.. إلى الطريق الوحيد إليها هو الزواج.. ربما كان ما يجعلها تقبل زواجه أنه من عائلة معروفة وأنه بدأ يعرف بأنه استطاع أن يحقق بسرعة نجاحاً فى أعماله.. إنه شاطر..

ومضت أيام والكمبيوتر لا يكف عن الحسابات وتحديد الأرقام.. لماذا لا يتزوجها؟!

إن الزواج لن يكلفه إلا أن يدفع مهراً قد يصل إلى خمسمائة جنيه.. ومؤخراً للصدّق يحدده قد يصل إلى خمسمائة جنيه أخرى.. وحيلة شترها كشبكة مهما غالى فى اختيارها لن يدفع ثمنها لها أكثر من ألف جنيه.. أما حياة مديحة معه فى بيته فلن ترفع مصاريف البيت كثيراً.. إن ما يكفى واحداً يكفى اثنين.. وانتهت حساباته إلى أن الزواج يكلفه أقل ما يكلفه اتخاذ عشيقه

لا رواج.. الحلال أرخص فى تكاليفه من الحرام.. علاوة على ما يعطيه الزواج له من ملكية كاملة للفتاة التى تزوجها.. وهذا بحله الشبان.. إنهم يتصورون أن الزواج يكلفهم أكثر من العشق.. أو أكثر من مطاردة البنات.. أبداً.. إن مديحة كلفته فى عام واحد أكثر من أربعة آلاف جنيه ثمن الهدايا وثمن استكمال مظاهر إغرائها.. ورغم ذلك لم يصل منها إلى شيء.. والزواج سيكلفه أقل ويصل به إلى كل ما فى مديحة..

وتقدم للزواج من مديحة..

كان أهلها يعرفون حكاية سعيه وراء ابنتهم.. ومديحة لا تسمى عن أمها شيئاً.. ومركز عائلته بالنسبة لهم وشهرته بدعمهم للمواقفة فوراً..

كل ما طلبه منصور أن يتم الزواج فى حفل عائلى ساكت.. محتجاً بأن روج ابنة عمه لم يمض على وفاته أكثر من سنة.. وهو نفسه لا يكره الحفلات.. وليس منزوياً.. من سهرات الليالى الاجتماعية.. ولكن الكمبيوتر ألقاه بأن الزفاف سيكلفه مبلغاً كبيراً دون أن يعود عليه بشيء.. وهو مع أن يستغل نصف هذا المبلغ فى قضاء أيام شهر العسل.. لا يخرج قرشاً من جيبه إلا بعد أن يحسب حساب ما يعود عليه منه.. ولو كان ما يعود إليه هو مجرد المتعة..

وج فى الشقة التى يقيم فيها بعد أن تولى بنفسه تجديداتها.. أرادها لكل ما يحتاجه زوجان.. وقضى شهراً وهو فى

منتهى المتعة.. والجمال.. والإثارة.. وخفة الدم.. وقد حدد
 لزوجته مسؤوليتها منذ اليوم الأول.. إنها فقط مسئولة إمتاعه
 بنفسها.. أما باقى مسؤوليات حياة البيت فهو الذى يتحملها.. لا
 يرال يتولى إدارة البيت.. ومحاسبة السفرجى الذى يقوم فى
 الوقت نفسه بعمل الطباخ.. ولا يرال يعود إلى البيت كل يوم وهو
 يحمل مشتريات السوق.. إنه لا يترك لها مسؤوليات ست
 البيت.. فهو رجل البيت وأيضاً ست البيت.. وحتى لم يترك
 لمديحة حق إقامة حفل ندعو إليه أفراد عائلتها أو صديقاتها إلا
 بعد الاتفاق معه.. وكان يوافق على كثير من الحفلات التى
 تطلب لإقامتها.. ولكنه يجب أن يوافق أولاً حتى يعتمد على
 الكمبيوتر الذى يضع له الحسابات.. وفى الوقت نفسه كان فى
 كل يوم بعد أن يخرج من البيت إلى عمله يترك لزوجته منتهى
 الحرية فى شغل وقتها.. إنها حرة فى الخروج من البيت بعد
 خروجه لتذهب لزيارة أمها أو أفراد عائلتها أو صديقاتها أو
 تذهب إلى السوق أو إلى النادي.. إنه يراعيها وينصفها بهذه
 الحرية.. فما دام قد خرج من البيت فلم تعد تزاول مسؤوليتها
 الوحيدة وهى مسؤولية إمتاعه.. ومن حقها أن تشغل أوقاتها
 وتسلى نفسها حتى لا تعاني من الفراغ.. ووجودها فى البيت
 وحدها فراغ.. لأنها ليست مسئولة مسؤولية ست البيت.. وهو
 يرحمها من الفراغ ولذلك يطلق حريتها..

ولم يكن قد مضى عام واحد عندما بدأت متعته بزوجته
 مديحة تحفت وتدوب.. ولم تكن مديحة خلال هذا قد طرأ عليها
 أى بوادر حمل.. وهى تريد أن تنجب وأنها تكاد تنج فى انتظار

أن تحمل ابنتها.. وقد سحبتها إلى طبيب مختص.. إنها
 مسممة.. كل ما فيها سليم.. إن زوجها منصور هو الذى يجب أن
 يذهب إلى طبيب.. ولكنه لن يذهب.. لا لمجرد عدم رغبته فى
 سراف بضغفه ولكنه لا يريد أطفالاً.. ولم يمتن أبداً أن يكون
 أب لكان أحياناً يخطر على باله احتمال الإنجاب وزوجته
 احصانه.. فينتابه نوع من الذعر ويعتمد أن يتخذ حركات
 دور أن ينجب.. ماذا يفعل بالأطفال.. إلى الكمبيوتر
 يرضى أن يدخل فى حساباته حساب الأطفال..

مضى الأيام ومتعته بزوجته آخذه فى الذوبان حتى دابت
 .. ولم يكن يفتح زوجته بشئ مما يحس به أو يطمع فيه..
 .. بدأ يتخذ تصرفات تخفف عنه الملل والزهد.. فانتقل لجنام
 .. فى حجرة النوم الأخرى بالبيت بعيداً عنها.. وحده.. ولم
 .. عصى ليلالى بحائنها فى البلكون أو أمام التلفزيون كمقدمة
 .. إلى الفراش.. بل لم يعد يبادلها هذه القبلات كلما خرج
 .. وإذا وجد نفسه معها على مائدة الإفطار أو العشاء لم
 .. موضوعاً يتحدثان فيه.. لم يكن لهما إلا موضوع واحد وهو
 .. متعتهما أحدهما بالآخر.. لقد عودها على ألا يتحدث
 .. أدا عن عمله أو عن مكتبه أو عما صادفه فى يومه.. فقط
 .. دائماً عما بينه وبينها من متعة.. وقد ذاب ما بينهما من
 .. ولم يعد بينهما ما يفتح مجالاً لحديث سوى تناقل الأخبار
 المائتية فى جفاء..

وصل إلى الاقتناع بأنه يجب أن يتركها.. إن الحياة
 حية ليست مجرد مسؤولية يفرضها المجتمع.. إنها متعة

وهناء واستقرار.. وهو لم يعد يعيش متعة ولا هناء ولا استقرارا..
وهو ليس مقتنعا بأن يحتفظ بزوجته ويتخذ بجانبها عشيقة
تستكمل له متعته وتحف من مله ورهقه ولا أن يتحد معها
زوجة أخرى.. ليس هذا قطعا من حكمة الزواج.. إن الزواج
كالحب.. اكتفاء ومسئولية وهو لم يعد يكتفى بزوجته ويضيق
بمسئوليتها.. ولعل الكومبيوتر يرفض أن يجمع بين زوجتين أو
يتخذ لنفسه عشيقة.. يجب أن يطلق مديحة..

وتم الطلاق بعد متاعب عنيفة بينه وبينها هي وأهلها.. وقد
كان منصفاً معها.. أعطاه كل حقوقها بل تعهد لها بأن يبقى
مسئولا عن كل مطالبها إلى أن تتزوج رجلا آخر.. إنه إنسان..
ولكنها لم تطلب منه شيئا بعد طلاقها.. لقد تركته وهي تكرهه..

وعاد وحيدا ولكنها وحدة لم تستمر شهورا إلى أن التقى
بسعاد.. ولم يحاول مع سعاد أى محاولة كالتى كان يحاولها مع
مديحة قبل الزواج.. ولكنه انتظر إلى أن تأكد من انحدابه إليها
والى أن غفلت عليه رغبته فيها ولهفته على امتلاكها كلها.. مع
إيمانه بأن الحلال أرخص من الحرام.. وفاحأها بلا مقدمات
قائلا فى بساطة:

- هل نتزوج؟

ودعشت سعاد.. ولكنه كان قد ازداد نجاحا فى عمله.. وازداد
ثراء.. وازداد شهرة فى مجتمعه.. وأصبحت الأحلام وصور
الحياة تغرى أى فتاة بأن تتزوجه..

.. بروج سعاد.. وأيضا رفض إقامة حفل زفاف عام.. وكانت
.. هذه المرة أنه سبق له الزواج ولم يعد من حقه أن يفرض
.. الناس قرحتهم بزواجه الثانى.. لقد أصبح زواجه أمرا
.. معلما بحياته الخاصة بعيدا عن الناس.. وهو لم يغير شيئا فى
.. لا استقبال العروس الجديدة إلا أغطية العراش.. إن البيت لا
.. يعمسه شيء..

.. عاش مع سعاد كما عاش مع مديحة.. وإن كانت سعاد أهدأ
.. أسعف وليست فى حقة دم مديحة.. واثنايه الشبع منها وأيضا
.. عام واحد دون أن يحب منها.. وطلقها.. وكان طلاقها
.. أسهل فهي وعائلتها أرقى ترفعا من عائلة مديحة..

.. عاد إلى وحدته متفرغا لعمله ليحقق نجاحا أبعد ويصل إلى
.. الملايين..

.. وحول أن يعدل عن أسلوب حياته الخاصة.. إنه لن يتزوج
.. . شائنة.. حتى لو كان الزواج أرخص فمفاعبه أكثر.. وإذا
.. من طبيعته اعتبار المرأة مجرد متعة.. فلماذا تكون زوجة..
.. . الآن يمتلك الكثير.. إنه مليونير.. لا يهمه ما يكلفه الحرام
.. من مال ما دام فى حاجة إليه..

.. وكان مجتمعه.. مجتمع رجال الأعمال.. قد اتسع وأصبحت
.. عليه تصم نوعا من النساء ليست لهن مظاهر الاحتراف ولكنهن
.. ملين أنفسهن مع الاحتفاظ بالاحترام المتبادل.. وبدأ يستجدى
.. النوع من النساء ليخفف من وحدته.. ولكن مستحيل.. إن

عواطف المعروفة في المجتمع الراقي كلفته الكثير.. ربما أكثر من عشرة آلاف جنيه حتى تعطيه ساعات من الليل.. والسيدة ايناس أعطته ساعات بعد أن عاد إليها من رحلة قام بها إلى باريس يحمل لها ما طلبته.. وكانت تطلب في أسلوب ساخر كأنه لا يهمها أن يلبي مطالبها أو لا يلبئها.. وقد لبأها كأنه يتحداها ويفرض عليها الاعتراف بسلطانته.. ورغم ذلك أخذت دون أن تعترف له بأى شيء ودون أن تعطيه أكثر من هذه الساعات.. رغم أنه دفع لشراء مطالبها الكثير.. آلاف الدولارات.. إن هذا النوع من النساء يعطى عبورته بنوع من الترفع والكبرياء المصطنع..

وعقله الكومبيوتر لا يزال يلح عليه ويفكره بأن الحلال أرخص من الحرام ويعطى أكثر.. أى يجب أن يتزوج.. إلى أن التقى بسهام.. وقد جذبته مع قدر كبير من الاحترام.. إنها من عائلة أكبر من عائلته.. والوالدهما أنجح منه في صفقات الأعمال ويفوقه ثراء.. وهى مطلقة كما أنه مطلق.. وليس لها أبناء كما أن ليس له أبناء.. إنها ظروف مشتركة يمكن أن تجمعهما في زواج.. وقد بدأ بأن استطاع أن يشترك مع والدها في صفقة واحدة ناجحة.. ثم تقدم إليه بطلب يد ابنته.. طلبها من أبيها لا من نفسها.. وقد ترددت سهام طويلا في قبوله كزوج وكانت أقرب إلى الرفض.. ولكن والدها كان قد أصبح في منتصفه الإعجاب بذكاء منصور وشطارته فأخذ يلح على ابنته حتى قبلت الزواج.. ولم يتردد منصور في دفع أعلى ما يمكن أن تكلفه زيجة.. إنها زيجة محترمة ومشرفة.. وكان بعد أن ارتفع

نراؤه قد ترك بيته وانتقل إلى بيت جديد.. فيلا رائعة في سواحى القاهرة أقرب إلى أن تكون قصرا.. وعهد إلى أرقى شهر مهندس ديكور بتأثيرها فأصبحت كأنها معرض لأخر ما وصل إليه فن قطع الأثاث والتحف.. وهو بيت لم تدخله زوجة أخرى قبل سهام..

وأتم الزواج بلا حفل.. فكلاهما مطلق وليس مفروضا أن يقيم حفلًا لتزواجهما.. ولكن سهام لا يمكن أن تعيش كمجرد متعة لتزوجها.. بل لا يمكن أن تقبل أن تكون تحت أمر زوجها.. هو الذي يجب أن يكون تحت أمرها.. وهو لا شأن له بإدارة بيت وشؤون الحياة الزوجية.. هى وحدها ست البيت.. وكل ذلك يخالف طبيعة منصور.. وبدأ النقاش يحتد بينهما منذ الأيام الأولى للزواج.. وأصبحت هى التى تجود عليه بنفسها إذا أرادت كأنها تتعطف عليه.. أولا تجود عليه عندما تقرر أنه لا يستحق ولو مجرد لمسة على جسدها..

ولم تكن قد مر سوى ثلاثة شهور عندما عاد إلى البيت ولم يجدها.. لقد هجرت البيت وتريد الطلاق.. هى التى تريد الطلاق وليس هو..

واعترض له أبوها بأن من المستحيل إقناعها بالعودة إليه.. وتم الطلاق.. وهو يحس كأنه خسر صفقة كان يبني عليها آمالا كبيرة.. بل كانت سهام هى أول زوجة يتمنى أن يجب منها.. إن ابنه منها لن يرثه وحده بل سيرث أيضا أباه.. أى أنه هو الذى سيأتى يوما ويضم شركات أبيها إلى شركاته بحكم الوراثة.. إنه مهروم.. أول مرة يحس بمرارة الهزيمة..

وعاش وحدته وهو يبحث عن الزوجة الرابعة .. ما ذنبه إذا تعددت زيجاته .. هذا حكم القدر الذى أقام طبيعته كإنسان ورسم حظه من الحياة ..

إلى أن التقى بأمنية .. إنها ابنة رقت عوض الموظف فى شركته، وكان قد بدأ موظفا صغيرا ولكنه ارتفع إلى أن أصبح يحمل مسئوليات كبيرة .. وقد رأى أمينة عندما دعاه أبوها فى استجداء ليتشرف بزيارته على دعوة للعشاء .. إنها جميلة .. هادئة .. حاملة .. تتحدث كأنها تعرف على جيتار .. إنه يريد أن يجرب زوجة من هذا النوع .. ويحس بانجذاب إليها .. وانجذابه يشتد .. وبعد أيام استدعى أباهما رفعت عوض إلى مكتبه وبدأه بحديث عن العمل، ثم قال مبتسما كأنه يرفع الكلفة بينهما:

— لماذا لم تتزوج أبنتك حتى الآن؟

وقال رفعت وهو يتنهد وإن كان سعيدا برفع الكلفة بينه وبين منصور:

— إنها متعلقة بشاب أرفض أن أقبله زوجها لها .. وهى لا تزال مصرة عليه وترفض كل من يتقدم إليها غيره .. حتى وصلت الآن إلى الخامسة والعشرين من عمرها وهى لم تتزوج .. أنا مصر على رفضه وهى مصرة على ألا تتزوج غيره ..

وفكر منصور قليلا ثم قال:

— هل تستطيع أن تقدم لى هذا الشاب؟

وقال رفعت فى دهشة:

— لماذا؟

وقال منصور مبتسما:

— سأريك منه .. واسمع كلامى ..

وجاء هذا الشاب .. معدوح ماهر .. إنه وسيم رشيق ولكنه لا مثل شخصية جادة محترمة ولكنه يمثل شخصية فهوى أقرب لى الانحلال .. وعرض عليه منصور فورا وظيفة فى الشركة .. دل كاذبا .. إنه سمع عنه من الأستاذ رفعت عوض الذى يهتم بمستقبله .. وفرح معدوح فرحة كبيرة ..

فالمرتب مفر وهو لم يكن يحلم بأن يعين فى شركة محترمة وفى مركز محترم ..

بدأ منصور يعتمد أن يستدعيه كل يوم ويكلفه مهام هو نفسه يعلم أنها مهام مظهرية لا قيمة لها .. إلى أن قال له بعد أيام:

— لقد اكتسبت ثقتى بسرعة حتى إنى أكاد أعتبرك أخى الأصغر .. والشركة تعاني من مشكلة حساسة أعتقد أنك الوحيد الذى يمكن حلها .. فىنى لم أعد مطمئنا إلى إدارة مكتبنا فى نيويورك بأمرىكا .. وأريدك أن تذهب إلى هناك وتبحث فى كل ما يجرى فى هذا المكتب وترسل إلى تقريرى وراء تقرير بكل ما نكتشفه .. هل تقبل ..

وانتفض معدوح من الفرح .. إنه لم يكن يحلم أبدا بالوصول إلى أمريكا .. وإن كان يتحيل فى صباه أنه ذهب إلى هيواليود وضحك على إحدى الممثلات الأمريكان وأصبح دون جوان عالمى .. ووافق طيبا وهو يكاد يلحنى ليقبل يد منصور ..

وقبل أن يحدد ممدوح موعد سفره استدعاه منصور وحديثه قليلا عن العمل، ثم قال كأنه فعلا يحدث أخاه الأصغر:

- إنى أعلم أنك صديق عائلة رفعت عوض، فما رأيك فى ابنته.. ودهش ممدوح وقال وهو حائر:

- إنها أنسة كاملة مهذبة..

وقال منصور وهو يدعى التردد:

- لقد قررت أن أطلبها لاتزوجها.. فإنى أعانى الوحدة.. وأريدك أن تفتح أباهما فى الموضوع شهيدا لى..

وفغر ممدوح فاه من المفاجأة ثم شماسك سريعا وقام على عجل وهو يقول:

- حاضر..

وكان هذا هو التخطيط الذى وضعه منصور للوصول إلى أمينة.. إما أن يقتل حبيبها بأن يتركها له، وإما أن يحرمه من السفر إلى أمريكا ويطرده من الشركة.. وقد نجحت الخطة.. وسافر ممدوح إلى أمريكا بعد أن أعلن أمينة بأنه لن يتزوجها بل ويحاول إقناعها بأن تتزوج منصور.. أما أبوها فلم يكن يستطيع أن يرفض لمنصور طلبا.. إنه ولى نعمته والمسيطر على مستقبله.. واضطرت أمينة إلى الاستسلام كأنها تتحسر.. وتزوجها منصور..

وكان هذا الزواج يمكن أن ينتهى بعد عام واحد.. فالحياة بين الزوجين ليس فيها أى إحساس.. حتى وهو يحتضنها بحس

دنه يحتضن وسادة خالية فارغة.. ولكنه تحمل عاما آخر من أحل خاطر أبيها.. ثم طلقها بعد أن قال لها:

- إنى أعلم أنك كنت تحبين ممدوح.. وسأستدعيه لك من أمريكا لاتزوجيه إن كنت لا زلت تقبلينه زوجا..

ولم ترد أمينة بعد أن أصبحت تعيش معه فى صمت..

وطلقها بعد أن دفع تعويضا كافيا لمراساة أبيها.. ولكن ممدوح لم يعد من أمريكا.. لقد ترك العمل لحساب منصور وظل فى أمريكا يعمل لحسابه..

وكانت هذه هى الزوجة الرابع..

أما الخامسة فكانت حكايتها غريبة على قدر ما هى بسيطة

(٢)

وقد وجد منصور عبد المجيد زوجته الخامسة فى أمريكا..

كان فى أمريكا بعد أن اتسعت أعماله هناك وأصبح يمسافر إليها أكثر من مرة كل عام.. والتقى بليزا فى دعوة أقامها حوّنسون مدير إحدى الشركات التى يتعامل معها.. إنها شقيقة صاحب الدعوة.. وهى مريحة.. لا تكف عن التهريج والتنطيط وهى تراقصه.. رغم أنها تبدو كبيرة فى السن.. ولطها أكبر منه.. فهو الآن فى الثانية والأربعين من عمره ولطها اقتريت من الخمسين فى عمرها.. وقد تعمد أن يشبع مريحها.. وكان يجيب على كل سؤال توجهه إليه عن مصر اجابات هزلية تطلق وراءها ضحكات ساخبة.. بل قام يراقصها وترك لها حرية التنطيط إلى اخرها.. وقرب انتهاء الحفل سألها أن تحدد له موعد اللقاء..

وقال ضاحكا:

.. أنت وأنا وحدنا..

وفرحت ضاحكة وحددت له موعداً وكان حتى هذا اليوم لم يقرر شيئاً بالنسبة لليزا.. إنه فقط يريد أن يكسب أخت مدير الشركة ليستغلها في تسهيل أعماله.. ولكنه بعد أن تعدد لقاءه بها بدأ ينتابه إحساس بالمغامرة.. لماذا لا يتزوج أمريكا.. أى يتزوج لييزا.. ولم يطرأ على باله المبدأ الذى يؤمن به والذى يرفع شعار.. الحلال أرحص من الحرام.. فقد فهم من شخصية لييزا أنها مستعدة أن تعطى أى شيء مجاناً.. سواء الحلال أم الحرام.. ولكن كان ما يطرأ على باله هو أن يقيم علاقة شرعية مع أمريكا.. إلى السوق الأمريكى أصبح هو السوق الأقوى بالنسبة لمصر.. بل إن الديون والتهبات التى تجود بها أمريكا على مصر أصبحت توزع فى مصر على شركات القطاع الخاص على أن يستغلوها فى السوق الأمريكى.. وقد حصل على مبالغ من هذه الديون.. وربما استطاع أن يستغل نفوذ أخى لييزا ليحصل على مبالغ أكثر وتصل إلى أسواق أوسع وخصوصاً أسواق الأسلحة.. إنه لو استطاع أن يصل إلى عمليات بيع الأسلحة لتضاعفت ملايين وأصبحت بلايين..

ووقف ملتصقاً بليزا كأنه واقف أمام آله من آلات القمار التى تسقط فيها قطعة من النقود وتشد ذراعها فإما أن تسقط منها عشرات الدولارات أولاً يسقط منها شيء.. إنه يقامر بليزا.. وقال لها بهذه البساطة المرححة التى تعودا على أن يتحدثا بها:

- هل نتزوج..

وصرخت لييزا فى مرج وقالت من خلال ضحكها المرححة:

إن آخر زوج كان لى مات منذ سنوات فى فينتنام.. ومن يومها لا أجد أحداً أضيافه وأعذبه.. وأحب أن أعزبك.. إنى أريد أن أرى مصر وأعيش فيها..

وفى اليوم التالى تزوجا زواجاً مدنياً.. وأقام لها أخوها حفل استقبال قدمه فيها إلى كثير من الشخصيات التى لها قيمة فى مجال الأعمال.. إن أخاها لم يبد رأياً فى هذا الزواج.. إنه فقط يقوم بالواجبات العائلية الرسمية.. كما تنازل لهما عن بيت من بيوت العائلة يقيمآن فيه إلى أن ينتقلا إلى مصر..

وقد لاحظ منصور منذ الأيام الأولى أن لييزا لا تطبق الاستماع إليه وهو يتحدث عن عمله.. ولا تقل أن يكفلها بأى مهمة فى أى تخطيط يصعه.. إن الحياة معه بالنسبة لها هى مجرد قطع الوقت وملء الفراغ.. إلى أن قالت له بصراحة:

- لا تتعبنى وتصدع رأسى بالحديث عن أعمالك.. إنها خاصة بك.. كما إنى لن أتمبك وأصعدك بما يخصنى.. إنها تحدد مسئوليته بإمتاعها كما كان هو يحدد مسئوليات زوجاته السابقات بإمتاعه.. وقد يحقق لها المتعة ولكنه لا يجد فيها متعة.. إنها فى عمرها لا يمكن أن تكون امرأة ممتعة..

أما أخوها رجل الأعمال الخطير فهو يلتقى به دون ترحاب صادق وغالباً فى مناسبات عائلية.. ويستمع إليه طويلاً وقد يصارحه بأرائه ونصائحه.. ولكنه عجز أن يشده إلى المساهمة

معه فى مشروع أو حتى مساعدته فى مشروع .. حتى يلس منه
ويدأ يحاول الاعتماد على الشخصيات الأخرى التى عرفها عن
طريق ليزا وجوسون .. ولكنه لم يصل إلى شىء ولم يحقق شيئا
من أحلامه .. لقد حسر لعبة القمار .. ولم تسقط عليه آلة القمار
ولا مليما ..

ورغم ذلك احتمل .. وعاد إلى القاهرة وليزا معه .. ربما أراد
أن ينشأهى أمام الناس فى مصر بأنه تزوج أمريكا .. وكان
المفروض أن يعقد مع ليزا عقد زواج مصرى شرعى بحانب
العقد الأمريكى حتى يؤكد الزواج .. ولكنه لم يفعل .. وليزا لم
سحطر على ذلك شىء من هذه التفاصيل .. وهى مد وصلت
إلى مصر وهى منفرعة للسياسة .. تريد أن تنفرخ على كل
مصر وتشهد كل قطعة تركها المراجعة .. وكان يتركها تسبح
وحدها .. وسافرت حتى الأقصر وأسوان وحدها .. وهو لا يحس
حتى بمجرد انتظارها .. إنه يتركها حرة وكلما عادت إليه دعا
أصدقاءه ليشهدهم على أنه تزوج أمريكا ..

ولم يكن قد مر أكثر من خمسة شهور على زواجهما عندما
عادت إليه ليزا بعد رحلة من رحلتها السياحية وقالت له :

- أعتقد أنى تفرجت على كل مصر وما فى مصر .. ولم تعد
.. حبه للقاء فى مصر .. سأعود إلى أمريكا وأنتترك إلى أن
.. بأنى إلى .. إلى لك أعمالا كثيرة هناك وستتردد على

١٢٥

وقال وهو يضحك ضحكة ساخرة :

.. إن تقاليدنا فى مصر لا تسمح بأن تترك الزوجة زوجها أبدا
.. حافر وحده ..

وقالت وهى تضحك معه :

.. يقال عن مصر إنها بلد عاطفى .. ويجب أن تقدر أن فراق
.. حسد لا يعنى فراق الزوج .. ومهما ابتعد عن بعض بأشخاصنا
فنحن فى لقاء دائم بروحنا ..

وقال فورا :

.. أعتقد أنه من الأفضل لك أن تعيش الحب دون أن تنقيد
.. بهذه الحبال التى يشدنا بها الزواج .. حتى يكون الحب حرا ..

وفهمت وقالت دون أن تتغير لهجتها :

.. أنت على حق ..

ونذبا فى اليوم التالى إلى السفارة الأمريكية وسحلا إلقاء
عقد الزواج الذى تم فى أمريكا .. وتركته وعادت إلى بلدها .

إنه لم يحبها أبدا .. ولا حتى جنبته كامرأة .. ولكنها كانت
مجرد لعبة من ألعاب القمار وخرج منها حاسرا .. ورغم ذلك
فهو كلما سافر إلى أمريكا تعمد لقاها .. وتعمد أن يقلل اللعبة
الغامرة قبيلات باردة ..

وكانت ليذا هي الخامسة :

أما السادسة .. بثينة .. فقد كانت أخته الأكبر منه هي التي دفعته إليها ودفعتها إليه .. فعلى غير عاداتها بدأت أخته تتردد عليه كثيرا .. وكل حديثها معه عن الزواج .. وكانت تعال له أسباب طلاقه المتكرر من زواجته .. وتؤكد أن الطلاق كان بسبب أنه لم يتزوج أبدا زواجا عائليا كاملا .. أى تتولى العائلة البحث له عن عروس .. وتقوم العائلة بكل الإجراءات والمظاهر العائلية التي تعيط بالزواج .. حتى يكون زواجا لتكوين عائلة لا مجرد زواج رجل أعجب بفتاة واشتهاها .. وقالت له إن سمعته أصبحت في لون الطين الأسود القذر من كثرة زيجاته .. ولكنها ستحاول أن تظف سمعته وتعيد ثقة العائلات فيه كزوج وتختار له الزوجة التي يعيش بها ومعها إلى أن يموت ..

ووافق منصور أخته على كل ما قالتها بلا مبالاة .. إنه الآن لا يريد الزواج ولكنه قد يتزوج بعد أن يري المرأة التي ترشحها له أخته .. إنه لم يكن يتزوج إلا بعد أن تشده إلى الزواج فتاة يراها ..

وجاءته أخته بعد أيام وقالت له إنها وجدت له الزوجة .. بثينة .. وقد بذلت المستحيل حتى يرصى أهلها به بعد أن نظفت سمعته الملونة .. وهي صغيرة بالنسبة له .. إنها في الثالثة والعشرين .. ولكن هذا أفضل له لأنه يكون كأنه يحمل مسؤولية تربيته وتشكيلها في الصورة والشخصية التي يريدونها ويمكن أن

نريحه .. وهي لم تنم تعليمها وتخرج في الجامعات كبنات هذه الأيام فعائلتها عائلة محافظة لا تلقى بناتها في الجامعات بين الشبان ..

وهذا أيضا أفضل له حتى لا تعتمد إلا على أهلها ثم على زوجها .. كما أنها عائلة ليست غنية .. وهذا أفضل له حتى تبقى العروس وعائلتها كلها في حاجة إليه ومتباهية به .. وقررت أخته أن تقيم دعوة على العشاء يرى فيها العروس التي ترشحها له ..

إنها حلوة .. مثيرة رغم الحياء الذي تدعيه وهي أمامه .. بل إنها توحى له بمجرد منظرها أنها فتاة جريئة .. مغرية .. ولكنها أصغر منه بكثير .. أصغر منه بأكثر من عشرين عاما .. ورغم ذلك فليجرب ..

وتولت أخته مسؤولية كل إجراءات ومظاهر الزواج .. وكان الحفل الذي صممت أن تقيمه أكبر من أى حفل زواج أقامه منصور لكل زيجاته وإن كان قد صمم على ألا يقام الحفل في أحد الفنادق كما كانت تريد أخته ..

ومنذ اليوم الأول للزواج ومنصور يحس كأنه يربى قطة .. ويهنا بعداعتها .. وبثينة تعطيه أكثر هذا الإحساس بأدعائها السذاجة وتدخلها .. ولكنه أيضا كان يتمتع بها كامرأة .. إنها نعرف أكثر مما كان يعتقد عن طريق الوصول إلى إمتاع الزوج ..

ومرت شهر وهو سعيد .. مستسلم لكل المظاهر العائلية التي تسلطها عليه أخته وأهل بثينة .. ولكن بدأت حياته تدخل فيها مظاهر عجيبة .. كأن يصادف أن يدق جرس التليفون وهو في البيت ويرفع السماعة فلا يرد عليه أحد ويقطع الخط في وجهه ويحس أن عنقه قد قطع .. وقد تكرر هذا أكثر من مرة .. وكان لا يعود إلى البيت إلا ويجد بثينة راقدة في الفراش وهي تتحدث في التليفون .. ولا تكاد تراه أمامها حتى تقول في السماعة .. حاسبيك يا ماما .. جاء منصور .. ويسمعها كأنها تقول .. جاء الشر .. أو جاءت المصيبة .. وهي دائما تقول كلما ضيبتها تتحدث في التليفون إنها تحدث أمها .. وهو كعادته كان يترك لها الحرية بمجرد أن يغادر البيت كما كان يفعل مع زوجته السابقات .. مصرا على اقتناعه بأن كل مهمة الزوجة هي إمتاعه . فإذا غادر البيت لم تعد لها مهمة ويخشى عليها من الملل والرهق والفراغ فيمنحها الحرية إلى أن يعود إليها .. وكانت بثينة تخرج من البيت وراءه كل يوم تقريبا .. وتقول له دائما إنها كانت في زيارة أمها .. وقد عاد إلى البيت مرة في موعد الغداء كعادته فلم يجد بثينة قد عادت .. فرفع سماعة التليفون فورا كأنه يرد أن يضيبتها واتصل بأمها يسألها:

- هل بثينة عندكم؟

وقالت في صوت مرتعش:

- كانت هنا .. وقد تركتنا منذ دقيقة واحدة .. ربما تأخرت معنا فقد كانت الخياطة معنا .. وستكون عندك بعد لحظات ..

وارتفعت درجة شكوكه مع ارتعاشه صوت أمها .. وعادت بثينة إليه بعد لحظات فعلا .. ولم يحاسبها أو يقول لها شيئا .. ومرة أيام والشك يستند به .. وطرات على ياله فكرة يحاول بها أن يتخلص من شكه .. فبقى في البيت ذات يوم ولم يخرج إلى مكتبه كعادته .. وطبعاً بقيت معه بثينة دون أن تحاول أن تتحدث في التليفون الذي كان قد حمله بعيداً عنها ويبدو على وجهها الضيق والكمد .. ربما لمجرد أنه لم يخرج من البيت ويتركها وحدها حرة .. ودق جرس التليفون ورفع السماعة فلم يرد عليه أحد .. وبعد لحظات أدار قرص التليفون وهو بعيد عنها وطلب أمها وقال لها في رقه؟

- هل بثينة عندكم؟

وعاد يسمع الصوت المرتعش والأم تقول له:

- لقد كانت هنا وخرجت منذ دقائق .. أعتقد أنها ذهبت تطوف ببعض الحوانيت .. إنها تبحث عن ثوب جديد .. لقد دللناها يا منصور بيه حتى أصبحت لا تكف عن شراء الفساتين ..

وشكر الأم ووضع سماعة التليفون في هدوء:

لن زوجته نخوته .. وأمها تتستر عاينها .. ربما كانت على علاقة قديمة برجل من قبل أن تنقروحه وأمها تعلم كل شيء .. ولكنه يجب أن يكتشف بنفسه كل شيء .. ولم يحدث بثينة في شيء .. وتركها وخرج إلى مكتبه فورا .. إنه أقام في مكتبه قسماً

خاصا يصم نوعا من الموظفين لهم مواهب معينة.. ويسميه..
'إدارة جمع المعلومات'.. وهو فى الواقع قسم للنجسس على
مبايسيه فى أعماله.. واستدعى الموظف الذى يثق فيه بهذا
القسم.. وبدأ يضع معه الخطة.. واستطاع بنفوده أن يفرض
رقابة خاصة على تليفون بيته.. كما تم تنظيم الخطة مع السائق
الذى يتولى قيادة السيارة التى كانت مخصصة لزوجته..

وفى أيام تجمعت لديه كل المعلومات.. إنها على علاقة
بشباب اسمه كريم.. وتخرج من البيت وتدخل من السيارة فى
ميدان الدقي.. وتسير إلى أن تصل إلى شارع منزو ثم تدخل فى
عمارة.. وتصعد إلى الدور الثالث.. وتختفى داخل الشقة
رقم ٣٢..

وحططت عملية صبتها..

وفى صباح يوم اتصل به سائق سيارة بثينة بالتليفون وأبلغه
أنه أوصلها إلى ميدان الدقي.. وبسرعة اتصل بأخيه الكبرى فى
التليفون، وقال لها:

- سأرسل لك سيارة حالا تحملك للقاء زوجتى بثينة..
وسيكون معك أحد موظفى مكتبى.. أرحوك.. لا تسألنى ولا
تجادلى..

واستسلمت أخته فهى تعرف طبيعة أحيائها عندما يكون جادا
وتخافه.. وحملتها السيارة إلى الشارع القريب من ميدان الدقي

ومعها الموظف وهو رجل يتميز بالضخامة وقوة العضلات..
ودخل بها عمارة وصعد بها إلى الدور الثالث ووقف يدق جرس
الشقة رقم ٣٢..

وبعد فترة طالت قليلا.. فتح الباب شاب كان لا يزال يزور
حاكنة النبحاما التى يرتديها.. ودفعه الموظف فورا إلى داخل
الشقة وأغلق الباب وراءه بعد أن دخلت معه أخت منصور..
وتطلع الموظف حوله يبحث عن شيء ثم دخل إلى الحجرات
وهى وراءه.. والشاب واقف فى دهول.. إلى أن وجدا بثينة فى
غرفة النوم راقدة على الفراش وهى عارية..

ونقت أخته على صدرها وهى تصيح لاهثة:

- يا حبر أسود..

لقد تعمد منصور أن تكون أخته هى التى تصبب زوجته حتى
يكون الطلاق عائليا كما كان الزواج عائليا..

وقد تم الطلاق فى هدوء.. وتعمد منصور أن يبقى كل شيء
سرا من الأسرار العميقة لا يعرفه أحد.. رغم أن سمعته ستزداد
سوادا بإصافة زوجة جديدة إلى حياته.. وربما اعتقد الناس أن
بثينة مسكينة غلابة لأنها تزوجت هذا الرجل الذى تعود أن
يطلق كل من يفزوها..

وعاد إلى وحدته..

عاد منها را.. فهذه الروجة الأخيرة هي الوحيدة التي تجرأت على خيانتة.. تجرأت على شرفه.. وعلى هيئته.. وتجرأت على هذه الملايين التي يملكها والتي كان يعتقد أنه يستطيع أن يحمي بها شرفه ويشترى بها أى شرف آخر.. لقد ارتكبت جريمة هي كيانه لا يتوقف بعدها نزيف قلبه ولا يريف عقله.. حتى الكمبيوتر توقف ولم يعد يستطيع أن يقوم له بالحسابات التي ترسم له كل خطوة..

وقاده الانهيار إلى إلقاء نفسه فى سهرات الليل الحاصة الماجنة المبحلة.. يقيمها أحيانا فى بيته.. أو يقيمها له أحد أفراد هذا النوع الرخيص من الأصدقاء.. بل إنه بدأ يشرب الخمر.. رغم أنه كان معروفا عنه أنه لا يشربها أبدا.. ولا يطيق رائحتها..

وكان يقيم إحدى هذه السهرات فى بيته.. فى العيلا الرائعة التى تكاد تكون أقرب إلى قصر.. وقد جمع فيها هذا النوع من الرجال والنساء المتخصصين فى الترفيه عن الداعى باسم الصداقة.. وكان بينهم فردوس التى تدعى أنها فتاة من ممثلات السينما.. إنها معروفة بأنوثتها وليست مشهورة بفنها.. وكان ملتصقا بها بداعيا وداعيه والخمر تتلاعب به.. إلى أن قال لها وهو يدعى الهمس:

- الليلة لى..

وقالت بعد أن أطلقت ضحكاتها الخالية:

- إنى لا أكون لأحد إلا بعد توقيع العقد..

وقال ولسانه المخمور يلتوى

- أى عقد:

قالت من خلال ضحكاتها الخالية:

- عقد الزواج طبعاً..

وابنسم بينه وبين نفسه وعقله الكمبيوتر متوقف تماما.. إنها فعلا معروفة بتعدد زيجاتها.. ربما تزوجت حتى الآن ثلاث أو أربع مرات.. إنه يعوقها فى عدد الزيجات.. لماذا لا يتروحها.. والحلال على كل حال أرخص من الحرام خصوصا مع هذا النوع من النساء..

وأشار بيده واستدعى أحد العاملين عنده وأمره أن يذهب إلى مأدون الحى ويستدعيه فوراً ويوقظه من النوم إذا وجده نائماً.. ثم صاح بين مدعويه ولسانه المخمور:

- يا إخوانى.. سأزوج فردوس..

وجاء المأدون وكتب العقد فعلا بين الأغاني والرقصات والتهليل.. وفوجئ فى صباح اليوم التالي عندما استيقظ من النوم ووجد فردوس نائمة بجانبه.. وتذكر ما ارتكبه وهو سكران.. لقد تزوج فردوس.. لقد أسقط على رأسه مصيبة كأنه انتحر.. وكان أول ما فكر فيه أن تبقى هذه المصيبة سرا حتى لا

تفضحه بين الناس.. واستطاع أن يقنع فردوس بعد أن أفاقت من نومها بالإبقاء على رواجهم سرا.. وحتى يكون سرا فهو يرجوها أن تعود وتقيم في بيتها ويلتقيا في السر كزوجين.. وتعهدت فردوس بأن تراعى هذا السر ولكنها قالت له وهي تمثل دور الحياء إنها لا تستطيع أن تعود إلى بيتها؛

وقال متوسلا:

لماذا؟

وقالت وهي تخفي عنه وجهها مدعية الحياء:

إني مدينة وقد أبلغني الدائن بأنه سيأتي إلى بيتي ليعلم الحجز عليه..

وقال بسرعة:

وما مبلغ هذا الدين؟

وقالت في حياؤها المفتعل:

عشرة آلاف..

وقال بسرعة:

أذهبى إلى بيتك وسددى له الدين..

وأعطاه عشرة آلاف جنيه..

وهذا الزواج رغم أنه كان جريصا على أن يحتفظ به سرا إلا أنه عرف وأصبح حبرا هاما من أخبار المجتمع يتندر به الناس.. ولكنه لا يزال يقنع نفسه بأنه لا يزال سرا..

وهذه المصيبة التي ارتكبها في حق نفسه كان لها فصل إنقاذه من انهياره.. لقد ابتعد من يومها عن هذه السهرات الماجنة.. وامتنع عن شرب الحمر.. وعاد عقلة الكومبيوتر كما كان.. عاد كله كما كان.. وانحصر كل تفكيره في كيف يتخلص من هذا الزواج.. كيف يتخلص من فردوس..

وفردوس تأتي إليه في البيت كل مساء وهي في كامل شخصية الزوجة.. إنها تتصرف كأنها ست البيت.. والرجل رجلها.. وكل ما بملكه تملكه هي.. وهي لا تكف عن مطالبتها التي تكلفه كثيرا.. وهي تريد أن ننح لنفسها فيلما سينمائيا.. إن إنتاج فيلم هذه الأيام قد يكلف حوالى نصف مليون جنيه وفردوس لا تفرق بين الحلال والحرام.. كله ثم واحد.. لا.. إنه لا يستطيع أن يستسلم إلى هذا الحد..

ولم يكن قد مضى شهرين عندما فاتح فردوس في الطلاق.. إنه لا يستطيع أن يطلقها قبل الاتفاق معها حتى لا يعرض نفسه للفضيحة التي يمكن أن تثيرها وتشهر به ويكبانه كله الذي يقوم عليه عمله..

ولم تعاها فردوس بطلب الطلاق.. إنها لا تتزوج إلا لتطلق سواء طلقها الزوج أم طلقته هي.. ولكن كم تدفع يا منصور به؟ ودفع منصور مبلغا ضخما لفردوس وتم الطلاق..

وقد استطاعت فردوس بما أحدثته أن تنتج فيلما لنفسها فعلا.. ولكنه كان فيلما فاشلا.. فهي لا يمكن أن تكون مشهورة كعنانة ولكنها معروفة كأثلى..

وعاد منصور إلى وحنته:

إنه الآن تعدى الخمسين من عمره .. وكل ما يريده هو أن يرتاح .. لا يريد شيئا إلا أن يرتاح .. وقد وجد أن أعلى درجات الراحة لا يجدها إلا وبجانيه نوال ..

إن نوال تعمل معه فى مكتبه منذ أكثر من عشرين عاما .. وقد بدأت كمسكرتيرة له .. ثم أرتقى بها إلى مديرة لمكتبه .. وأصبح يعتمد عليها كل الاعتماد .. لقد أصبحت على علم بكل تفاصيل العمل .. وبكل أسرارها .. وبكل ما له وما عليه .. حتى إنه رفع مرتبتها وهى مديرة مكتب إلى أعلى مرتب مدير عام الشركة .. وهذا ما يحدث فى كل البلاد المتقدمة .. يرتفع مرتب مدير المكتب إلى مرتب أكبر الموظفين .. لأن مدير المكتب هو فى الواقع عقل وتصرفات صاحب الشركة ..

ورغم اعتماده عليها كل هذا الاعتماد فلم تقيم بينهما أبدا أى علاقة خاصة .. لا من قريب ولا من بعيد .. ربما لأنه تعود منذ البداية أن يفصل بين حياته فى عمله وحياته الخاصة .. ونوال قطعة من حياة العمل .. وهى ليست جميلة حمالا راعقا ولا حتى جمالا يجذب العين .. ولكنها مريحة .. شكلها مريح .. وكلامها مريح .. وتصرفاتها مريحة .. وهى راحة نطلق من تكانتها .. نكاء متخصص فى توفير الراحة حتى مع أصعب مشاكل العمل ..

وقد بدأ فى هذه المرحلة من عمره يحتاج إليها أكثر .. إنه يستند عليها كثيرا لتجلس معه ولم يعد حديثه معها قاصرا على

العمل .. بل كان يحدثها عن كل دنياه ويصل إلى حد الإباحة بأسرار حياته الخاصة وكل أخطائه .. كأنها البئر الذى يلقى فيه بكل همومه حتى يرتاح .. بل إنه من شدة حاجته إليها بدأ يدعوها إلى بيته لتقصى سهرات معه .. ولم يكن بينهما أى التصاق أو تلامس عشائى .. إن كل ما جرى بينهما هو حديث لا ينتهى .. إنه أوسع حديث يجمعه يأنسا لأن يشمل العمل بكل أسرارها والحياة الخاصة بكل أسرارها ..

وطرأت على عقله الكمبيوتر فكرة ..

لماذا لا يتزوج نوال ..

إنه زواج يضمن له مصير شركته من بعده .. فهى الوحيدة التى تعلم كيف تديرها أو على الأقل تفهم فى إدارتها .. ولعله ينجب منها ولدا .. إنها المرة الثانية التى يتمنى فيها إنجاب ولدا .. كانت المرة الأولى عندما تروح سهام .. وقد نعى أن ينجب منها ابنا يرث أموال وشركات أبيها ..

وهذه المرة الثانية .. فإنه لو أنجب منها فيستطيع هو وهى أن يجعللا من ابنيهما رجل أعمال عبقريا ناجحا يتولى أمر شركته .. والأهم من كل ذلك أنه سيعيش معها الراحة التى وفرتها له منذ التقى بها ..

وقال لنفسه .. إن نوال تحبه .. لا شك أنها تحبه .. ليس مجرد العمل هو الذى جمعه به طوال هذه السنوات .. إنه الحب .. بل إنها لم تتزوج حتى الآن رغم أنها أصبحت فى الثانية والثلاثين

من عمرها.. لماذا لم تتزوج.. لأنها تحبه.. ولكنه كان أعز من
أن يكتشف هذا الحب.. كانت مسئولية العمل تجرده من لمحات
الحب الذى يعيش مع نوال.. وقال لها وهو فى أرقى مستويات
إحساسه وعواطفه:

- ما رأيك.. هل نتزوج؟

وابتسمت ابتسامتها المريحة الهادئة وقالت:

- أى رقم سأحمله بين الزوجات؟

وقال وهو يشد يدها إلى يده:

- ستكونين الزوجة رقم واحد.. كل ما مضى لم يكن لى فيه
زوجات.. كن فزوات.. أو نجارب.. أو أخطأه.. لم يكن لى
زوجة حتى اليوم.. وستكونين أنت الأولى..

وقالت من خلال ابتسامتها:

- لا.. سأكون الزوجة رقم سبعة.. وأنا أفضل أن يكون لى
فى حياتك مكان لم يحتله أحد قبلى ولن يحتله أحد بعدى..
وانى مصرة أن أكون معك دائما.. ولكن فى هذا المكان الذى
أنفرد فيه طول حياتى.. مكانى ملتصقة بك فى العمل..

وضغط على يدها وهى فى يده وقال متوسلا:

- إنى فى حاجة إليك بقية حياتى.. بل إنى بدأت أفكر بعد
الرواح فى أن تكون شركائى كلها ملكا لنا نحن الاثنين.. ونحب
أنا يتولى حملها بعدنا.. لم يعد لى أمل إلا أملى فيك.. أملى أن

عطينى راحة أوسع من الراحة التى عشت فيها معك حتى
اليوم..

وقلت وحفاها برنعتان فوق عينيها.. اترك لى أياما أفكر
فيها..

وقال وهو يحتضنها بابتسامة:

- سنلقى غدا..

وقالت ضاحكة:

- إنه لقاء عمل..

وقال متوسلا:

- لقد جمعنا بين العمل والحب..

وقامت.. وانحنت تقبله لأول مرة.. وكانت قبلة على
جبينه.. ثم جرت خارجة من البيت كأنها صبية صغيرة..
وتمدد فوق مقعده مرتاحا فى انتظار نوال غدا..

استغفر الله..

لقد أصبح عادل الهجرسى يحس كأنه فيلسوف اجتماعي فقط.. أصبح يفلس كل ما يحيط به من مظاهر الحياة بل أصبح يصع تفسيراً فلسفياً لكل فرد من أفراد المجتمع الذي يحيط به.. لقد أرتفع فوق القمة وأصبح يطل على الدنيا من تحته، ويرى فيها مالم يكن يراه وهو يعيش فيها كمجرد واحد من أهل هذه الدنيا..

وكان من بين المبادئ الفلسفية التي اكتشفها.. هو أن الفرد إذا غير عادة من عادات معيشته فإنه يجب أن يغير معها كل المجتمع الذي يعيش فيه.. فمثلاً.. إذا قرر فرد بدخول السجائر أن يقلع عن التدخين فإنه يجد نفسه يتخذه عن كل المجتمع الذي كان يحيط به.. وهو مجتمع كل أفراد بدخون.. وليس هو الذي أختار هذا المجتمع ولكنه وحد نفسه فيه منذ بدأ بدخن.. فإن التدخين ليس من عرائر الإنسان التي ولد بها وتشمل كل الناس.. ولكنه عادة مكتسبة من ناحية من نواحي المجتمع.. وقد يكون قد بدأ التدخين تقليداً لوالده حتى يصل مثله إلى مظهر من مظاهر العظمة والقوة.. أو تقليداً لأصدقائه الذين

سقوطه في التدخين حتى يشاركهم في استكمال مظاهر الرحلة المعكرة.. ويجد هذا الفرد نفسه يعيش وسط مجتمع كله من المدخنين.. فإذا قاوم التدخين وأقلع عنه وجد نفسه غريبا عن هذا المجتمع.. بل قد يجد نفسه عربيا حتى عن أبيه الذي لا يزال يدخن.. إنها غربة تفقده التجارب الكامل مع عقلية ومظاهر المجتمع المدخن.. وهو يرى بعض الأفراد من غير المدخنين يترددون على مجتمع التدخين.. ولكنه يراهم كلهم كأنهم غرباء لا يتحملون طويلا هذا المجتمع.. حتى بين الأخ وأخيه.. فقد يكون أحدهما يدخن والآخر لا يدخن فإذا الواقع يعرض التباين بينهما وكان كلا منهما يعيش في دنيا لا يعيش فيها الآخر.. وهو تباين بين شخصية كل منهما وأخلاقه وأهدافه وأسلوبه في الحياة..

وقد وصلت به فلسفته الى محاولة اكتشاف السر في تعود التدخين رغم أنه ليس من معالم غريزة الإنسان، إنما هو مجرد اكتساب لعادة من العادات.. واكتشف بما أفق نفسه به.. وهو أن التدخين هو تعود على تقاليد مجتمعات أجنبية خارجة عن المجتمع المصري.. فإن التدخين لم ينتشر كل هذا الانتشار في المجتمعات المصرية إلا بعد الاحتلال البريطاني.. وأصبح يمثل مظهرا من مظاهر قوة الانجليزى.. واندفع أفراد المجتمع المصري يحاولون اكتساب هذا المظهر بأن يدخنوا كما يدخن الانجليز.. وقبل الاحتلال البريطاني كان المنتشر في المجتمع المصري هو تدخين الشيشة.. لأن الشيشة كانت تمثل المجتمع

التركي.. وكانت تركيا هي التي تحفل مصر والشيشة تعتبر مظهرا من مظاهر العظمة والقوة التركية، ولذلك اندفع المجتمع المصري إلى محاولة اكتساب هذا المظهر بتدخين الشيشة كما يدخنها الاتراك.. وحتى الجوزة لا بد أنها جاءت الى مصر من الخارج، فليس في كل ما خلفه قدماء المصريين من آثار ما يثبت أنهم كانوا يعرفون الجوزة، وأن تدخينها كان منتشرا بينهم كانتشارها داخل المجتمع المصري هذه الأيام..

وعادل الهجرسي يمكن أن يتحدث طويلا، ويعرض تفاصيل فلسفته حول انتشار التدخين في مصر.. ولكن ليس المهم هو التدخين.. وهو نفسه يفرط في تدخين السحائر والشيشة والجوزة ولا يخطر على باله أبدا أن يقلع عن هذا التدخين.. إنما المهم هو تعود تعاطي الخمر..

وهو يذكر إنه شرب الكأس الأولى وهو طالب في الجامعة وكان يصحبه صديقه نبيل.. أو بلبل كما تعود أن يناديه.. وكان قد دعاه صديق أكبر منهما منا إلى بيته وقدم لهما الكأس مؤكدا أنه تفتح شهيتهما قبل تناول العشاء.. وقد فتحت الكأس شهيتهما فعلا.. وقصبا مع صديقهما سهرة لا تكف فيها الضحكات.. ولم تكن الضحكات هي كل شيء، فقد بدأوا من ليلتها يتبادلون الأفكار.. وكانت أفكارا تعلن عن عبقرية كأنها كانت مدفونة.. وعن جرأة في مواجهة الواقع الذي كانوا يعيشون مستسلمين له..

وقد انتهى عادل ليلتها وهو ليس محمور . ولا يمكن اعتباره
سكرانا .. إنه يسير طريقه فى خطوات عادية ويقول كلام ليس
فيه أى كلمة شاذة ، أو كلمة لا يقصدها ولا يعيها ..

ومن يومها أصبح هو وصديقه بلبل يعمدان البحث عن
الكأس .. ولم يعودا أن يبحثا عنها كل ليلة أو يحداها فى أى ليلة
يريدانها .. وكان بلبل تغلبه شهوته أحيانا فيمد يده إلى محباً
رجاحات الحمر الذى يحتفظ بها أنه فى البيت ويحرم أنه منها
لأنه لا يزال طالبا يذاكر دروسه .. يصب بلبل كأسا له وكأسا
لصديقه عادل .. ثم يعودان إلى المذاكرة .. كأس واحدة لكل
منهما .. كأنهما يريدان مذاق الخمر لا مفعولها ..

إلى أن تحرجا كلاهما فى الجامعة .. ويخرج بامتنياز ووجد
كل منهما عملا مشرفا مجدي .. وقد اصداحا يحتما كل ليلة فى
بيت بلبل وزجاجة الحمر بينهما .. أو يكونان مدعويين إلى صديق
يقدم لهما الزجاجات أيضا .. إنهما ودون بعد أصداحا يحدا
تلقائيا الأصدقاء الذى يقلون قصص السهرة معهم وكل منهم يقدم
الزجاجة .. وعادل نفسه لم يكن يستقبل بلبل فى البيت ولا يدعو
إليه الأصدقاء ، فليس فى بيته زجاجة ، وأبوه يحرم بشده
تقديمها ، ويعتبر محرر وجودها رخصاً من عمل الشيطان ..
وأصبح كلما أحس بواجب المجاملة ورد التعميل أن يدعو
أصدقاءه إلى كأس فى أحد المحال أو الفندق العامة .. وطبعاً لم

عادل أو بلبل يتفيا بكأس واحدة . ولكنهم لم يصلا إلى
.. هى الإفراط .. كأس أو على الأكثر ثلاث .. بهم لم يسرو
.. يعود الاستسلام للحمر حتى يفقد أحدهم وعيه ويزانه ..
وكانت شهيرة أخت بلبل يسركهما جلست اللبى . وكانت
فى أيضا وهى لا تزال عذراء شرب كأسا أو اثنين .. إلى الكورس
محترف بها فى تقاليد هذه العائلة ..

وقد جمع الحب بين عادل وشهيرة . وربما كان حبهم لا
ملافة له بالكأس أو لم تدفعهما الكأس إليه .. ولكنهما كانا شديدا
حساس بهذا الحب ، وأشد حراة فى التعبير عنه بعد أن يرتشعا
للكأس الأولى ..
وقد تزوجا ..

وأصبح بينهما لا يحلو أبدا من الزجاجة ، والكأس يجمعهما كل
به .. وقد يكون معهما بلبل أو يكون قد وجب الدعوة لعصر
لأصدقاء .. وأعطى اللبلى وحدهما . والزجاجة والكأس دانت
شاركان فى إهداء سهرتهم .. إلى كل مطهر وأحسيس الحب
بينهما لا تتجمع وشركر إلا مع الكأس .. بل إلى شهوة كل منهما
إلى الآخر لا تنطلق إلا مع الكأس .. حتى أنهما تعودا ألا يدور
كل منهما قبله الآخر إلا ومعهما ما تتركه الكأس من رائحة
ينطلق إلى الشفاء .. كأن كلا منهما يفيل كأس فى شفتى الآخر
كأس معطرة برائحة الورد ، أو الكونياك ، أو البند ، أو الحبيب ..
هذا لم يعير من طبيعتهم إلى لا يتركهم يعطيان فى تناول
كأس .. فقط كأسا لكل منهم ويصلا أحيد إلى ثلاث كأس

أو إلى أربع .. دون أن يصلا إلى أن يكون أحدهما في حالة هذيان السكرى ..

وقد مرت السنوات وهو في منتهى السعادة بزواجه وبنجاحه في عمله .. إنه يبني نجاحه بسرعة .. وكل فكره أصبح مركزا في تحقيق مزيد من النجاح .. ثم وجد نفسه لا ينتظر ساعات المساء التي تجمعها خلالها الكأس مع زوجته .. إنه أحيانا ينسى الكأس إلى أن تذكره بها زوجته شهيرة وتدعوه إليها صارخة كأنه قد نساها هي شخصيا .. ويعود ويلتقط الكأس، ولكن ليس في منتهى الاقبال الذي تعود به .. بدأ يحس كأن الكأس تعكر تركيز فكره على مشروعاته التي يحقق بها نجاحه، والتي أصبحت تأخذ كل عقله في كل ساعات يومه .. بل إنه أصبح يضيق بجلوسات الكأس مع صديقه بلبل، ومع بقية أصدقاء الكأس .. أصبح يعاني وهو جالس معهم في إبعاد فكره عن مشروعات نجاحه حتى يتفرغ للاشتراك معهم في أحاديثهم المنطلقة بلا مسئولية .. وأصبح يحس بضحكائهم كأنها قطع من الحجارة يقذفونه بها حتى يضحك معهم .. وحتى لو ضحك لأيس بمتعة الضحك كاملة كما كان يحس بها .. ورغم ذلك فهو لا يزال يرفع الكأس إلى شفتيه كأنه يحترم تقاليد عائلية ثابتة لا يستطيع أن يخل بها ..

إلى أن دهمته حالة أخرى بدأت تسيطر عليه .. فإن استمرار نجاحه في عمله بدأ يشعره بفصل الله عليه .. وكلما نجح في

تحقيق مشروع أحس بدافع قوى إلى أن يصلى شكرا لله .. ثم بدأ يستل نفسه عن اهماله أداء فريضة الصلاة .. فلما لا يصلى دائما وكل الصلوات الخمس .. إن كل أفراد عائلته يؤدون الصلاة كاملة .. أبوه يصلى .. وأمه تصلى .. وأخوه الأكبر يصلى .. وأخته تصلى منذ كانت طفلة ولا تزال متمسكة بأداء الصلاة بعد أن تزوجت وأنجبت .. كان هو وحده في العائلة كلها الذي لا يواظب على الصلاة .. كان يدعى أحيانا أداء الصلاة إرضاء لوالده .. ولكنه لا يشغل نفسه أبدا بدوافع أداء الصلاة .. كأنه الكفر الوحيد بين أفراد العائلة .. ربما كانت هذه إحدى النوازع التي كانت تسيطر على صباه وشبابه .. نوازع الانطلاق بالحرية حتى حرية التخلص من نوازع الدين .. ولكنه الآن لا تسيطر عليه هذه النوازع .. فلما لا يتخلص منها، ويبدأ في أداء كل فروض الصلاة .. إنه يؤدي فرص الصيام في رمضان بحكم التعود، فلما لا يعود نفسه أيضا على الصلاة ويبدأ يؤدي فروض الصلاة فعلا .. بل أن دوافعه إلى الصلاة أصبحت أقوى من دوافعه إلى صيام رمضان .. إنه يصوم بحكم التعود، ولكنه يصلى بحكم وصوله إلى استكمال إيمانه بفصل الله عليه وحاجته إليه ..

وكان يؤدي فروض الصلاة في البيت .. وزوجته شهيرة تنظر إلى ماجد عليه وهي ساحرة .. لقد عرفته وأحنته وتزوجته وهو لا يصلى .. فلما جذب عليه .. لعله استجاب لنوارع شادة لمظهر من مظاهر الجنون .. ولم يقلقها شدوده أو جنونه فإنه

لا شيء ينقص من حولها.. وهو لا يحاول أن يفرص عليها أن تبدأ هي الأخرى في أداء فروض الصلاة.. إنه يتركها إلى أن تدهمها هي الأخرى دافع الصلاة.. لقد عرفته وأحبته ونزوحته. وكلاهما لا يصلى، ولكنه أصبح يصلى وربما دفعها الحب إلى أن تصلى معه حتى لا تتركه وحده في صلاته.. حتى تقف معه بين يدي الله ليباركهما معا ويشمئهما برصانه سبحانه وبعالي وهما معا.. هكذا كان يتمنى.. ولكن لاشئ يدفعها إلى تحقيق أمنيته بأن تصلى معه.. إنها ليست في حاجة إلى شيء من الله، ولا ينقصها شيء منه هو شخصيا..

حتى الكأس لم تنقصها..

لا يزال الكأس يجمعها بروحها كل مساء.. وكل ما تغير فيه أنه لم يعد يقرب الكأس إلا بعد أن يصلى صلاة العشاء مكتعب بأن يفرض على نفسه الأمر بأن لا تقرب الصلاة وأنتم سكارى.. إنه لا يقرب الصلاة بعد أن يبذل شفتيه بالخمر حتى ولو لم يكن قد أصبح سكران، ولذلك فهو لا يقرب الكأس إلا بعد أن يؤدى كل فروض الصلاة..

ولكنه يردد نغورا من الكأس.. بينما شهيرة ترداد اقلا على الكأس حتى أصبحت كأنها تغرق نفسها فيها.. إلى أن حطرت خاطر أحر وهو حانس معها وأمان كل منهما كأسه وقال مستسما وهو يحتضنها بعينين تبرقان بحيه:

- شهيرة.. إننا نعيش في بيت واحد.. وننام في فراش واحد.. وكل ما في الحياة نعيشه معا.. فلماذا لا نسكر من كأس واحدة..

وقالت في دهشة كأنها لا تفهم وكأسها في يدها:

- ماذا تقصد؟

وقال وهو يلعبا بمزيد من الحب:

- أقصد أن يكون لنا نحن الاثنين كأس واحدة.. أنت تأخذين رشقة من الكأس وأنا رشقة من نفس الكأس.. حتى لا يكون لكل منا كأس تبعد عن الآخر.. إن رشقة الكأس كأنها همسة.. فلتجمعنا الهمسات في كأس واحدة..

وأطلقت شهيرة ضحكة عالية كأنها وجدت لعبة جديدة تلعب بها.. وأبعدت كأسها من أمهما، ومدت يدها إلى كأسه ورفعها إلى شفتيه وارشفتها.. ثم مدت يدها بها إلى شفتيه ليرشف هو الآخر رشقة منها.

وقد كن يطلن أن هذه الفكرة ستحفف عنها ثقل الخمر.. وقد أصبح هو الذى يمسك بالكأس ويرشف منه.. وقد يدعى الارششاف دور أن يرشف منه ولا قطرة.. ثم يمددها إلى شفتيه.. ويسحبها قبل أن تمامدى في ارشفها.. ثم يعلل النهاية في الوقت الذى يحدده ويدعوها إلى الفراش..

ولكن الفكرة لم تحف ما يريد.. فلا هي أصبحت تحف من شرب الخمر.. ولا هو أصبح مستريحاً من الخمر.. رغم أنه لم يعد لهما سوى كأس واحدة.. إنها تمد يدها إلى الكأس قبل أن يمد يده إليها.. ونسكب في حوفها ما نريد دور أن نتركه يتحكم

فيما نريده .. ثم تعطيه الكأس وقد لا تنتظر حتى يرشف منها وتعود وتأخذها إلى شفتيها .. أو قد تصل الكأس إليه، ويكتفى بأن يبلل شفتيه بما فيها دون أن يسكبها في بطنه .. ويظل محتفظاً بها في يده مدعياً أنه لا يزال يشرب فلا تمهله طويلاً وتشد الكأس إلى شفتيها .. إنها مدمنة .. ولا يمكنه أن يخفف من ادمانها ..

وأحياناً تار على نفسه لئلا يده في ما يريده .. وهو يريد أن يقطع عن شرب الخمر .. أن يحرمها ولو على نفسه وحده .. حتى هذه الترشفات من الكأس التي يبلل بها شفتيه أصبحت تتبعه كأنها رشفات من النار تشعل أمعاء وتهرى معدته، ثم ترتفع إلى رأسه وتصيبها بصداع مؤلم عنيف يستمر حتى صباح اليوم التالي .. إنه لم يعد يحتمل شرب الخمر .. إلى أن كانت إحدى الأمسيات وجاءت روجته شهيرة بالرجاجة والكأس ووضعتها بيدها وهي تجلس بجانبه .. ومد يده والنقط الكأس ثم ألقي بها على الأرض بعنف .. وتحطمت الكأس .. وهو يصرخ :
- لن أترك الكأس تصل إلى شفتي .. خلاص .. لن أشرب الخمر ..

ونظرت إليه شهيرة في ذهول .. ثم تخلصت من ذهولها، وقالت في برود :
- أنت حر .. وأنا حرة ..

ثم مدت يدها والتقطت كأساً أخرى صبت فيها الخمر ورفعتها إلى شفتيها وشربت كل ما فيها في جرعة واحدة .. كأنها تغيطه وتتحداه ..

وقضيا هذه الليلة وهو جالس معها صامتاً يقلب فيما يصل إلى يده من صحف أو أوراق ويطل بعينيّه على السطور دون أن يقرأ منها شيئاً .. أو يفتح الراديو يحاول أن يستمع إليه .. أو التلفزيون يحاول أن يتتبع بعينيّه ما يعرض أمامه دون أن يرى شيئاً .. وهي بجانبه صامته أيضاً تملأ الكأس ثم تصبها في حوفها إلى أن اكتفت فقامت مبتعدة عنه إلى الفراش وهي لاتزال صامته .. ولعله أحس بأنه يجب أن يحفف عنها صدمتها بأن تركها تشرب الخمر وحدها .. فقام ولحق بها على الفراش ومد ذراعه يحتصنها .. ولكن ما أن هم بأن يصع شفتيه على شفتيها حتى دهمنه الرائحة المنطلقة منها .. رائحة الخمر .. وقد كان لا يشم هذه الرائحة وهو مخمور مثلها تنطلق منه هو أيضاً عس الرائحة .. أما الليلة وهو لم يشرب الخمر فلم يستطيع تحمل رائحته .. إنه يحس بها كزوبعة كريهة تعصف به .. وهي أيضاً .. أنها تحس بشفتيه كأنهما شفاه ميت فقد الحياة ..

ومصت الأيام مع مريد من التباعد حتى أصبحت شهيرة يقضى أمسياتها وحدها مع الكأس، بينما عادل وحده في العرفة الأخرى يقرأ أو يشاهد التلفزيون .. وهو بتمنى كأنه يحلم بأن تصدر الحكومة المصرية أمراً بمنع الخمر وتحريم وجوده تطبيقاً لأوامر الإسلام، ولكن في مصر أديان أخرى لا تحرم شرب الخمر .. ومجرد اصدار هذا الأمر بالتحريم لا يعني ألا يشرب وحده، ولكنه يفرص صفة اجتماعية تقلل من الإقبال على شرب الخمر، وتحريم الحشيش لم يقض عليه، ولكنه أقام صفة

اجتماعية جعلت مجال الحشيش صيقا على الأقل، جعلت أى فرد ينكر أنه حشاش حتى لو كان حشاشا.. وقد يؤدي تحريم الخمر أيضا الى أن يصبح شربها سرا يخفى به الشاربون وليس مظهرا علنيا يتباهى به الشاربون.. ولكن المشكلة أساسا هي أن الدول المصدرة للخمر هي دول راقية، وأى دولة أخرى تحرم الخمر تدخل فى معركة أقرب إلى الحرب، وقد سبق أن حرمت أمريكا الخمر فدخلت فى معارك استمرت سنوات مع باعة الخمر تساندتهم كل الدول التى تصنع الخمر وتصدره. وانتهت هذه المعارك بهزيمة الدولة الأمريكية وعادت إلى إباحة الخمر.. لا أمل فى أن يتمنى بأن يصدر أمر بتحريم الخمر حتى يفرضه على زوجته شهيرة..

إلى أن فوجيء ذات ليلة باختفاء زوجته.. إنها ليست فى عرفة الحلوس نشرب كأسها.. ليست فى البيت كله.. وكاد يجس.. أين ذهبت.. لا يمكن أن تكون قد انتحرت بعد أن هجر ليالى الكأس معها.. وأمسك بالتليفون وأخذ يسأل عنها لدى كل من تعرفهم الى أن وجدها لدى أخيها.. إنها معه.. تشرب معه.. وكانت ححتها بسيطة.. إنها لا تستطيع أن تستسلم للانفراد طول عمرها بكأسها.. وأخوها يشرب فقررت أن تعيش وهي تشرب معه..

وقد استسلم.. وإن كان قد حاول أن يقنع أحاها بأن يأتي الى ريارنه هي البيت، ويشارك زوجته الكأس هنا لا هناك.. ولكن

أخاها قال ضاحكا:

- إني لا اطلق أن أجلس وفى يدي كأسا وأمامي واحد يرفض الكأس ويحلق فى كأنه يتمنى أن يخنقنى حتى لا أصب الكأس فى زورى..

وأصبحت هذه هي حياتهما.. تذهب كل ليلة لنشرب الكأس مع أخيها.. وطبعا ليس أخوها دائما وحده فكثير من أصدقائه يجتمعون كل ليلة فى سهرة خمر.. ولعل زوجته شهيرة بنصم اليهم وتقضى السهرة بينهم وهي سكرانة.. ترى ماذا يقال وماذا يحدث.. والأوهام تلهب أعصاب الروح المستسلم للصيف.. وقد بدأ عادل يناقش نفسه.. إنه يحب زوجته ويريدها، فإذا كانت الكأس هي أقوى ما يجمعهما، فلماذا يهجر الكأس.. لماذا لا يعود ويشرب الخمر حتى يحتفظ بحبه.. إن الاسلام لا يمكن أن يقسم على المؤمنين به إلى أن يحرمهم من الحب الشرعى حتى لو كان من المكتوب عليهم أن يتحدوا التقاليد، ويشربوا الخمر..

وبدا فى إحدى الليالى يشرب.. كان وحده.. زوجته تركت البيت إلى أخيها كما تعودت أخيرا.. وقد جاء بزجاجة الخمر ومعها الكأس، وجلس الجلسة التى يجلسها مع زوجته وهي تشاركه الخمر.. بل أنه جاء بكأس أخرى وضعها على المائدة كأنها كأس زوجته وفى انتظار أن ترشف منها.. وهو يبتسم ساخرا بينه وبين نفسه.. لقد وصل إلى حد أن أصبح يجلس وحده ويشرب وحده.. مع أنه لا يريد من الكأس إلا أن تجمعهم

بزواجه .. ولكن الليلة واحدة يفرض على نفسه فيها العودة إلى شرب الخمر .. وغدا سيشربها معها .. لن يتركها تغادر البيت بحثا عن من يصاحبها الكأس، ستجتمع الكأس بينه وبينها وحدهما .. في الغرفة التي كانا يقضيان فيها ساعة يعانن نفسيهما للانتقال إلى الجنة التي تجمعهما فوق فراشهما ..

ورفع الكأس وشرب أول رشفة .. وأحس كأنه يشرب المر .. لم يعد يحس بأى متعة في الكأس .. وشرب الرشفة الثانية، وكان النار قد اشتعلت في معدته ومصارينه .. ولم يعد يحتمل بل أنه بدأ في الصراخ وهو يثلوى على مقعده وهو يضغط بيديه على معدته ومصارينه .. ولم يعد يجزؤ على مجرد التفكير في الرشفة الثالثة .. وليعترف بالحقيقة .. إنه لم يقلع عن شرب الخمر لمجرد التمسك والصلاح، ولا تمسكا بتعاليم الدين الاسلامي .. إنه أقلع عن شرب الخمر لأنه لم يعد يحتمل شربها .. إنه مريض ولم تعد أمتعاه تحتمل تلقى الخمر .. إنه لم يهرب من الخمر ، ولكنه يهرب من الآلام التي أصبحت الخمر تصبها على معدته وأمعائه، وتشتد حتى ترتفع إلى عقله ويحس بأن رأسه يكاد ينفجر من جحيم الصداق .. هذه هي الحقيقة .. لقد هجر شرب الخمر لأن معدته لم تعد تحتمل شربه .. إنه لم يتطور في إيمانه بتعاليم الدين وفي تمسكه بشعائر الفضيلة، ولكن صحته هي التي تطورت وتركته وهو لا يحتمل أن يشرب الخمر .. معدته ومصارينه هما اللذان فرضا عليه الامتناع عن شرب الخمر .. وليس عقله هو الذي ألح عليه حتى أخذه إلى دنيا الإيمان بتعاليم

الدين وإلى دنيا الفضيلة ..

إن فليس من حقه أن يلوم زوجته شهيرة لأنها لا تريد أن تشاركه في الامتناع عن شرب الخمر .. إنها ليست مريضة مثله .. والخمر لا تسبب لها الآلام التي تسببها له .. إنها لا تزال تجد في الخمر متعة الطيران إلى أعلى بعيدا عن هموم الدنيا .. ليس من حقه أن يلومها إذا لم تمتنع معه عن شرب الخمر .. إن الأسباب التي دفعته إلى التوبة عن الخمر لا يستطيع أن يقرضها على زوجته شهيرة .. لا يستطيع أن يفرض عليها هي الأخرى أن تمرض بمعنتها ومصارينها حتى لا تقبل الخمر .. ولكن كان يمكنها أن تكتشف أنه مريض وتراعى واجبها بعد أن أصبح مريضا فتمتنع هي الأخرى عن شرب الخمر حتى لا تتركه وحيدا مع المرض .. أن واجب الزوجة الكاملة أن تراعى حالة زوجها وتعيش في حدود ما تستطيعه حالته .. إنها ليست مريضة ولكن زوجها مريض وهذا يكفي لتبتعد عن الكأس .. ولكن شهيرة ليست زوجة كاملة .. وهو يحبها رغم أنها ليست كاملة ..

وهذه الخواطر التي ترحف عليه ويقضى ساعاته في مناقشتها جعلته يتحمل أكثر، الاستسلام لكل تصرفات زوجته شهيرة .. وقد أحس أنه أصبح يعتمد على بركة الله وحده في تحمل هذا الاستسلام .. ووجد نفسه يتقرب إلى الله بأداء المزيد من فروض الدين .. أصبح يبالي في أداء الصلاة ويصلى التراويح .. ويحرص على صلاة الجماعة في المساجد .. وأحيانا

تطوف على شفتيه ابتسامة ساخرة هو يسأل نفسه .. هل كانت زوجته شهيرة يمكن أن تصلى معه .. إنها طوال عمرها كله لم تتجه إلى الله بركعة واحدة .. وهى ليست كافرة ولكن لعلها أفنعت نفسها بأن الله فرض الصلاة على الغلبة الجهلة .. وهى ليست من الغلبة الجهلة .. إنها تصل إلى الله بالمناقشة الواعية التى تفرض الحلال .. وتصل إليه بأن تمتع نفسها بالحياة لأنه هو الذى خلقها ووضعها فى هذه الحياة ..

إلى أن فوجئ فى إحدى الأمسيات بزوجته وقد جلست حيث تعودا أيام زمان أن يقضيا أمسياتهما، وقد وضعت أمامها زجاجة الخمر وكأسا واحدة .. كأنها استسلمت هى الأخرى أنها لن تجد فى بيتها من يستحق كأسا أخرى .. ووقف أمامها كأنه مذهول بهذه المفاجأة .. لماذا لم تذهب هذه الليلة لتشرب الكأس مع أخيها .. ونظرت إليه نظرة عادية وبين شفتيها ابتسامة كأنها ترتب بها على خده .. كأن ليس هناك جديد تحمله هذه المفاجأة، وقالت من خلال ابتسامتها:

- اجلس يا عادل .. واسمعنى .. لقررت الآن شهور ولم نعد نستطيع أن يعود كل منا إلى الآخر كما كنا .. لذلك فإننى أجد إنه من الأفضل أن تكون لكل منا حياته .. أى أن ننفصل .. ولا تكون زوجى، ولا أكون زوجتك ..

وصاح مذهولا:

- ماذا تقصدين ..

قالت وهى لا تزال تبسم

- أقصد الطلاق .. وكل منا يصبح حرا فى بناء حياته من جديد ..

وقال فى ضعف يهز صوته:

- ولكننا نعيش أحرارا بلا طلاق .. أنت حرة فى كل حياتك، وأنا حر رغم أننا زوجان ..

وقالت فى حدة كأنها تهدد:

- إن مجرد أن نعيش فى بيت واحد لا يعتبر زواجا .. إننا مطلقان داخل البيت فلنجعلها حياة طبيعية ونعيش الطلاق كله دون أن يجمعنا بيت .. إنى مصممة على الطلاق، ولا تجتنى ألجأ إلى وسائل أخرى ..

وأحس بالثورة تزحف عليه وتثير أعصابه وصرخ فى وجهها:

- لم يكن يجمعنا إلا الحب الذى عشناه منذ صبا .. فما دام الحب قد تخطى عنك فأنت طالق .. طالق .. طالق ..

وتركها خارجا بعد أن مد يده ورفع زجاجة الخمر من أمامها وألقى بها على الأرض وحطمها .. ونظرت إليه شهيرة ساخرة وتبعته حتى اختفى، ثم فتحت الدولاب وأخرجت زجاجة أخرى .. وعادت تشرب ..

وقد ذهب وأقام مع عائلته وتركها تعيش وحدها في بيتها..
إنه يعتبر أنه طلقها فعلا، ولكنه لم يتخذ أى إجراء رسمى
لتسجيل وإعلان هذا الطلاق.. وهى أيضا لم تطالب بإجراءات
إعلان الطلاق.. يكفى أن كلا منهما قد أصبح يعيش وحدة
ليكونا مطلقين.. وهو يعيش معها فعلا طوال كل يوم.. لا يكف
عن التفكير فيها وتخيل تصرفاتها.. ترى كيف تعيش وكيف
تفكر وهو بعيد عنها.. ربما كانت قد طلبت الطلاق لأنها تريد
أن تتزوج واحدا من شلة الخمر التى تجمعها فى السهر مع
أخيها.. مستحيل أنها لاتستطيع أن تتزوج، فهو لم يتخذ
إجراءات الطلاق وإن كان يعيشان كمطلقين.. وعلى كل حال..
فإذا كان من حقها أن تبحث عن زوج آخر فهو من حقه هو
الأخر أن يبحث عن زوجة أخرى.. ولايكفى أن تكون هى
الأخرى على خلق وشرقة ومن عائلة محترمة.. و.. إلى آخر
اللائحة التى تحدد عملية البحث عن زوجة.. إنما يجب أن
تكون معه فى كل تفاصيل الحياة.. حتى يمكن أن تجمعها حياة
فى هذه الدنيا فهو الآن لايشرب الخمر فيجب أن تكون هى
الأخرى لاتشرب.. وهو يعانى ضعفا فى معدته ومصارينه،
فيجب أن تكون لها معدة ومصارين تعاني هذا الضعف.. على
الأقل حتى يعيشا داخل أصناف واحدة من الأغذية.. والأهم من
ذلك أنه الآن فى الخامسة والأربعين من عمره، فيجب أن تكون
هى فى الأربعين على الأقل.. فإن الزواج لاينجح إلا إذا جمع
بين اثنين من جيل واحد.. أى أنه يجب أن يتزوج من جيل
الأربعين..

وقد مضت شهور طويلة وهو يعيش وحدته فى بيت عائلته
دون أن يمضى يوما دون أن يقضيه مفكرا فيها ومتخيلا حياته
بعيدا عنها.. إنه يحبها.. ولا يستطيع أن يطلق حبها حتى لو
طلقها هى شخصيا.. وكان فى هذه الشهور قد بدأ يحس
باسترداده لكامل قوة كيانه.. حتى قوة معدته ومصارينه..
والفضل طبعاً لرعاية أمه التى كانت مشرفة على كل تفاصيل
حياته، بل وعلى كل لقمة تدخل إلى فمه ويأكلها.. وكانت
مؤمنة بأن أقوى ما فى الطب هو الاستسلام للطبيعة.. حتى أنها
منذ يومين وضعت أمامه لقمة ساندويتش من الفسيخ.. مادام
خلق الله قد اكتشفوا الفسيخ منذ الاف السنين فلاشك أن فى
الفسيخ فوائد دفعت خلق الله إلى اكتشافه فلماذا لايجرب أكل
الفسيخ.. وقد أكل ساندويتش الفسيخ مرغما تحت إلحاح أمه..
ولكن من العجيب أنه أحس بالراحة فعلا بعد أن أكل الفسيخ..
أحس كأن معدته ومصارينه قد استردتا كل قواها كأنها كانت
تلعب لعبة رياضية مع الفسيخ.. إلى أن سأل نفسه يوما.. لماذا
لايجرب.. وليعترف بالواقع.. لقد حرم على نفسه شرب الخمر
لأنه كان قد أصبح لايتحملها فى بطنه.. فليجرب.. ربما
يستطيع الآن أن يتحملها.. وفعل ذهب واشترى زجاجة من
الخمر.. وأعد الكأس.. ورد فى منتهى الأخلاص.. استغفر
الله.. استغفر الله.. استغفر الله.. ثم صب الكأس بين شفتيه..
عجيبة.. إنه لا يحس بأى قلق ولا أى ألم.. إنه يستطيع الآن أن
يشرب.. أن يعود إلى الخمر..

ورفع سماعة التليفون بسرعة واتصل بزوجته شهيرة.. إنها في البيت.. ولم ينطق بأى كلمة.. أعاد سماعة التليفون، ثم قام مسرعا مهزولا بعد أن حمل زجاجة الخمر في يده.. وركب سيارته وانطلق مسرعا إلى بيته.. بيت الزوجية القديم..

ودخل البيت وشد شهيرة من يدها وأجلسها حيث تعودا أن يجلسا أيام زمان لقضاء الأمسيات ووضع بينهما زجاجة الخمر، ثم قام وأتى بكأس لها وكأس له.. وبدءا يشربان..

وقال بعد الكأس الأولى..

- لنعد كما كنا..

وقالت وهي تلقى بنفسها في أحضانها:

- لقد كنت دائما معي.. لا يشغلني عنك إلا الكأس.. والآن كلاكما معي.. أنت والكأس.. وشفتاه في شفتيها.. كأنه يشرب الخمر من أنفاسها.. وعادا..

ولم يتغير منه شئ إلا أنه يغالى في أداء الصلاة حتى صلاة العشاء، ولا يكف عن أن يردد بيته وبين نفسه.. استغفر الله.. استغفر الله..

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٤/٥٧٧٦

1.S.B.N 977-01-4007-4

مشكلة هذا الكتاب انه رغم توجهاته التسامحية نسبيا تجاه زواج المسلمة بغير المسلم والمسلم بغير المسلمة لكنه منحاز بشدة لجهة التحول الى الاسلام وليس متوازنا ربما بسبب نشأة الكاتب في كنف جده لايبه الازهرى وربما لخوفه من رد فعل المجتمع المصرى المتعصب للإسلام وربما بتأثير كبير سنه أو تأثير زواج ابنه محمد من ابنة الكنكبرى الاخوانى محمد الغزالى وانضمام ابنه للأخوان. وربما لأنه في تلك الفترة لم يكن هناك انترنت ولا فيسبوك ولا يوتيوب ولا ربيع عربى اخوانى سلقى أوهامى بعد قيمقايس عصرنا اليوم 2024 فأحسان عبد القنوس مقصر جدا فى منح الحق للمسلم والمسلمة فى ترك الاسلام الى اية ديانة أخرى ابراهيمية أو هندية أو فارسية والمطالبة بالحقوق الكاملة للملحد اللاهوى واللادينى الربوبى التوحيدى والربوبى التعددى واللاكثرائى واللاادارى وللبيهاى والايدينى والعلمى والشيعى والدرزى واليوزى والهندوسى والكمئى الخ

كما أنه لم يرفض فكرة أن أبناء الأب المسلم المتزوج من مسيحية أو غير مسلمة لابد أن يكونوا كلهم مسلمين أى على دين الأب وهذا خطأ وظلم كبير والصحيح أن تترك الحرية للأولاد بعد دراستهما لديانتى الاب والام وديانات العالم حتى لكى يؤمنوا بالديانة التى تناسبهم والأفضل أن يكون نصف الأولاد على دين الأب والنصف الآخر على دين الأم بغض النظر كانوا ذكورا أو إناثا وإن كان الأفضل لحرية الأولاد تركهم لاختيار ما يناسبهم فلما ديانة الأب أو اى ديانة أخرى حتى غير ديانتى الاب والام أو لادينية بانواعها او حتى اعتناق ديانة جديدة يخترعونها من مزيج من ديانتى الاب والام او من اى فكرة تناسبهم

هذا تعليفي على قصة الله محبة وقصة لا اله الا الله فى هذه المجموعة القصصية وكذلك على قصة رجل أعلن اسلامه فما المانع ان يكتب ايضا عن مصرى مسلم اتبهر بالغرب حين سافر او بالهند او اليابان او الصين فتحول الى المسيحية العلمانية او الى الهندوسية او البوذية او الجاينية او الطاوية او الكونفوشية او حتى اصبح لادينيا ملحدا او ربوبيا توحيديا او ربوبيا تعدديا او لاكثرائيا او لاادريا او رانيليا او كنيثيا او بيهانيا او زرادشتيا ... او مصرية مسلمة كذلك

قصة استغفر الله أعجبتنى لأنها فيها تسامح وتساهل فى صراع رجل بين الصلاة والخمر وادمان زوجته للخمر الذى جمع بينهما وعودته للخمر لتعود علاقتهما جيدة مع استمراره بالصلاة .. الطوبى لمن يسلبه تجاه ظالميهيم يدخلون الجنة كما فى قصة الانسان فى السماء.. اعجبتنى

قصة "القرآن" تتحدث عن قيمة وميزة التعاون بغض النظر عن الموضوع الدينى فيها.. وهى فكرة جيدة. وكذلك قصة الحب فى رحاب الله .. وهى قصة جيدة فى نقطة محددة وهى زواج الرجل والمرأة بمن يفهمهم ويمثلهم فكريا ودينيا وبكل مجال

اما قصة الحلال ارحص من الحرام فكنت احب ان يعرض ايضا امرأة مزوجة وايضا رجل وايضا امرأة متعددا للعلاقات المساكنة او الجيرلقريندية البويريندية دون سبب مالى